الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الشهيد حمة لخضر- الوادي

كلية الآداب واللغات قسم اللغة والأدب العربي

محاضرات في علم اللهجات

لطلبة السنة الثانية ماستر لسانيات عامة

الدكتور: نور الدين مهري

السنة الجامعية: 2021م — 2022م

المحاضرة (1)

مفاهيم عامة:

اللغة، اللسان، الكلام.

لو طرحنا هذا السؤال: ما العلاقة القائمة بين اللسان واللغة والكلام في الدرس اللساني؟ هل تعبّر عن شيء واحد أم عن أشياء مختلفة؟

إن هذه المصطلحات الثلاثة قد تبدو متداخلة عند البعض، وعند آخرين قد تبدوا متشابهة، بل لقد ظل الباحثون قرونا عديدة لا يفرقون بينها، إلا أن هناك فرقا واضحا بين هذه المصطلحات أحدَثته اللسانيات الحديثة، ويرجع الفضل في ذلك إلى العالم اللغوي دي سوسير في كتابه الشهير: (محاضرات في اللسانيات العامة).

وقبل أن نتوسّع في هذا، لا بد أن نتطرق إلى تعريف هذه المصطلحات الثلاثة عند علماء اللغة القدامى:

أولا– تعريف اللغة:

- **تعريف اللغة في المعاجم اللغوية:**

قال الجوهري: "أصلها لُغَيٌ أَوْ لُغَوٌ، والهاء عوض، وزاد أَبو البقاء: ومصدره اللَّغْوُ، وهو الطَّرْح، فالكلام لكثرة الحاجة إليه يرمى به، وحذفت الواو تخفيفا[1]، وقال ابن منظور: أصل اللغة لُغْوة من لغا إذا تكلّم[2].

وقد بيّن ابن فارس معنى ذلك فقال: "اللام والغين والحرف المعتل أصلان صحيحان؛ أحدهما يدلّ على الشيء لا يعتدّ به، والآخر على اللّهج بالشيء[3]، ثم بين الأصل الثاني

[1] – تاج العروس من جواهر القاموس، 39/ 462.

[2]– لسان العرب، 15/ 250.

[3] – مقاييس اللغة، 5/ 256.

بقوله: "قولهم: لَغِيَ بالأمر، إذا لهِج به، ويقال إن اشتقاق اللغة منه، أي يلهج صاحبها بها"[1]، وَفِي الحَدِيث: "وإذا قال لصاحبه أنصتْ فقد لغا"[2]: أَي: تكلم[3].

- **تعريف اللغة اصطلاحا:**

1- تعريف **ابن جني** (ت 391 هـ): "أصوات يعبِّر بها كلُّ قوم عن أغراضهم"[4].

ويمكننا أن نأخذ من هذا التعريف جملة من الحقائق:

أ- أشار ابن جني في تعريفه إلى الطبيعة الصوتية للغة بقوله: "اللغة أصوات".

ب- بيّن أن وظيفة اللغة الأساسية هي التواصل من أجل تحقيق الحاجات والأغراض.

ج- وضّح أن لكلّ قوم لغةً خاصة بهم.

د- ذكر أن اللغة ظاهرة اجتماعية، فهو إذًا يلغي فردية اللغة.

2- أما **ابن خلدون** فيقولُ في حدِّ اللغة: إن "اللغة في المتعارف هي عبارة المتكلِّم عن مقصوده، وتلك العبارة فعل لسانيّ ناشئ عن القصد بإفادة الكلام، فلا بد أن تصير ملَكة متقررة في العضو الفاعل لها وهو اللسان، وهو في كلِّ أمة بحسب اصطلاحاتهم"[5].

ونستنتج من تعريف ابن خلدون جملة من الحقائق:

أ- استعمل ابن خلدون كلمة (عبارة) ليشير إلى الجانب الوظيفيّ للغة؛ أي: إنه اعتبر اللغة وسيلةً لإيصال قصد المتكلِّم.

ب- قصد ابن خلدون بعبارة (بحسب اصطلاحاتهم) أن لكلِّ قوم لغةً خاصةً بهم.

---

[1]- السابق، 5/ 256.

[2]_ الجامع الصحيح المختصر، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، تح: د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، اليمامة – بيروت، الطبعة الثالثة ، 1407 – 1987، 315/1.

[3]-المحكم والمحيط الأعظم، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1421 هـ - 2000 م 6/ 62.

[4] - الخصائص، ابن جني، تحقيق علي النجار، مطبعة دار الكتب المصرية، 1952- 33/1.

[5]- ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ابن خلدون، تح: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، ط2، 1408هـ - 1988م، 1/ 753.

ج- اللغة ظاهرة اجتماعية عند ابن خلدون، وهذا واضح في العبارة: "وهو **في كلِّ أمة** بحسب اصطلاحاتهم".

ثانيا- تعريف اللسان:

1- في المعجم: لقد تحدث ابن منظور في لسان العرب عن مادة (لسن) فبين أن اللسان: جارحة الكلام... واللسان اللغة، ومنه قوله تعالى: "وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه"، أي بلغة قومه[1]، واللسان : الكلام والخبر... ومن المجاز: هو لسان القوم، أي: المتكلم عنهم[2].

2- في المصطلح:

لا يختلف المعنى اللغوي للّسان عن المعنى الاصطلاحي؛ فالدلالة اللغوية والمصطلحية واحدة، ولعل مصطلح (لسان) كان الأشهر استعمالا عند العرب القدماء، ويؤيد ذلك القرآن الكريم الذي لم يستعمل مصطلح اللغة، وإنما استعمل مصطلح (لسان) في معنى اللغة كقوله تعالى: "وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ "، [سورة ابراهيم، الآية: 04].

ثالثا- تعريف الكلام لغة واصطلاحا:

1-الكلام لغة: قال ابن فارس: "الكاف واللام والميم أصلان: أحدهما يدل على نطق مُفْهِم... تقول: كلمته أكلّمه تكليما"[3]، قال الله تعالى: ﴿يحرفون الكلم عن مواضعه﴾ [النساء: 46]". وأما الأصل الثاني الذي تحدث عنه ابن فارس بعد ذلك، فهو يخص معنى آخر، بعيدا عما نحن فيه.

---

[1] - لسان العرب، 13/ 385، 386.

[2] - تاج العروس من جواهر القاموس، 36/ 117.

[3] _ مقاييس اللغة، 5/ 131.

فالكلام يدل على القول وعلى الخطاب، وعلى جنس ما يُتكلم به من كلمة، ولو كانت على حرف كواو العطف، أو أكثر من كلمة[1]، فتقع على الحرف الواحد من حروف الهجاء، وتقع على لفظة واحدة مؤلّفة من جماعة حروف لها مَعنى، وتقع على قصيدة بكمالها وخُطْبَة بأسْرها، يقال: قال الشاعر في كلمته، أي في قصيدته. والقرآنُ كلاَم الله، وكَلِمُ الله، وكلمات الله، وكلمةُ اللَّهُ[2].

2- الكلام اصطلاحا:

عرفه الرماني: بأنه: "ما كان من الحروف دالاً بتأليفه على معنى"[3]، وعرفه ابن جني: "كلّ لفظ مستقلّ بنفسه، مفيد لمعناه، وهو الذي يسمّيه النحويّون الجمل"[4].

وهكذا، فإن علماء اللغة القدامى لم يفرقوا بشكل واضح ودقيق بين اللسان واللغة والكلام، فهذه المصطلحات الثلاثة قد تستعمل بمعنى واحد.

رابعا-اللغة في اللسانيات الحديثة:

وإذا تركنا التراث العربيّ القديم، وولجنا إلى اللسانيات الحديثة، فإننا سنجد أن اللغة هي الملَكة اللسانية الموجودة عند الأفراد، وهي أعم من اللسان، واللغة عند الإنسان نظام قائم بذاته، يرجع إلى جينات وراثية تنشأ مع الفرد منذ ولادته، وهي التي تجعله قادرًا على أن يمتلك لسانا معينا.

فاللغة عند دي سوسير: "نظام من الرموز الصوتية الاصطلاحية في أذهان الجماعة اللغوية، تحقِّق التواصلَ بينهم، ويكتسبها الفرد سماعًا من جماعته"[5]

---

[1] - تاج العروس من جواهر القاموس، 33/ 370.

[2] - تهذيب اللغة، 10/ 147.

[3] - الحدود في النحو، الرماني، ضمن كتاب رسائل في النحو واللغة، تح: مصطفى جواد ويوسف مسكوني، ص 42.

[4] - الخصائص، ابن جنّي، 18/1.

[5] - محاضرات في الألسنية عامة، يوسف غازي، المؤسسة الجزائرية للطباعة، 1986، ص149.

ويمكننا أن نستنتج من تعريف دي سوسير عدة مصطلحات من الضروري الوقوف عندها، ومن بينها:

- **النظام:**

في نظر دي سوسير: أن اللغة تعتبر نظامًا مجردًا من العلامات، ويتأسس هذا النظام على العلاقات التي ترتبط بها العلامات لتشكل نظامًا أو بنية، وهي علاقات يشترك فيها كلُّ أعضاء الجماعة اللغوية، وتمثل المخزون الذهنيَّ لهم.

ونستنتج مما قاله دي سوسير في تعريفه **للغة** أنها ظاهرةً اجتماعية، فهي "ملَكة التعبير برموز ناطقة"[1]، يقول: "فإن نظرنا إلى اللغة في شموليتها وكليّتها، نجدها متعددة متباينة الأجناس، فهي تتكوَّن من مسائل غير متجانسة: مسائل نفسية، مسائل فيزيولوجية، مسائل اجتماعية، مسائل فيزيائية..." إلخ، وهذا ما جعله يحكم عليها بأنها لا تصلح أن تكون موضوعًا للسانيات، "لأنها لا تمثّل واقعة اجتماعية خالصة؛ حيث إنها تخصُّ الفرد وتخص الجماعة"[2] ؛ أي إنها لا تشتمل على وحدة الموضوع، الذي هو شرط مهم في علمية أيِّ علم.

- أما في ما يخص **اللسان**، فيقول دي سوسير مجيبًا عن السؤال: ما هو اللسان؟ فيما يخصنا، فإننا نفرق بين اللسان la langue، وبين اللغة la languageَ، فليس اللسانُ إلا جزءً محدودا من اللغة، وهو إنتاج مجتمعيّ حادث عن ملكة اللغة، وعن أنواع التواطؤ والاتفاقات الضرورية التي أقرها المجتمع وسنَّها؛ لكي تتأتى ممارسة هذه الملكة عند الأفراد[3].

---

[1] – مبادئ اللسانيات المعاصرة قراءة وتقويم، حسني خالد، ص25.

[2] – علم اللغة بين التراث والمعاصرة، مدكور عاطف، دار الثقافة، القاهرة، ص29، 1987.

[3] – محاضرات في علم اللسان، عبدالقادر قنيني، ص23.

واللسان يُقصد به لغة معيَّنة؛ كالعربية، والفرنسية، والإنجليزية... وغيرها من الألسنة، فاللسان ظاهرة اجتماعية تعم جميع الأفراد المنتمين تحت جناح أسرة لسانية واحدة، إنه شبيه بمعجم توجد منه نسخ في الأدمغة وأفراد المجتمع[1].

ومن مميزات اللسان التي نجدُها في تعريف دي سوسير أعلاه ما يلي:

1- اللسان جزء من اللغة.

2- اللسان ظاهرة اجتماعية.

3- كلُّ ما يتعلق باللسان يمكن تحديده.

لهذا كله جعل سوسير اللسانَ هو موضوع اللسانيات.

فاللسان إذًا هو لغة خاصة لقوم معينين، أو لغة مجموعة لسانية معينة، بغضّ النظر عن جنسها أو لونها، وهذه اللغة الخاصة لها نظام لساني خاص أيضًا يتعلق بالوحدات المعجمية واللسانية عمومًا، وأنساق التراكيب، وبالصيغ التصريفية، وبالعلاقات القائمة بين الصوت والتركيب والمعنى، هذا فضلًا عن الكثير من الاستعمالات، سواء تعلَّقت بالحقيقة أو المجاز.

وكل لسان من هذه الألسن ينطوي على نحوه الخاص ومعجمه الخاص، وقد يشترك هذا اللسان أو ذاك في جملة من الخصائص مع لسان أو ألسُن أخرى، مثلما يختلف في بعض الخصائص مع لسان أو ألسنة أخرى.

- أما **الكلام** parole، فهو كلُّ ما يلفظه أفراد المجتمع المعين؛ أي: ما يختارونه من مفردات وتراكيب ناتجة عما تقوم به أعضاء النطق[2]، بالاعتماد على المعرفة المشتركة لدى الجماعة اللغوية المعينة، وشرط الكلام هو وجود متكلم ومستمع؛ إذاً فالكلام إنجاز فردي، وهو ما يجري على ألسنة الأفراد، ومن ثم فإن الكلام فردي، وإن استمد قوانينه من اللسان المشترك بطبيعة الحال، والكلام يغلب عليه

[1] – مبادئ اللسانيات المعاصرة: قراءة وتقويم، ص26.

[2] – مدخل إلى علم اللغة، محمد حسن عبدالعزيز، كلية دار العلوم، القاهرة، 1991م، ص200.

الاستعمال، فهو وثيقُ الصلة بالسياق والمقام، بينما اللسان جماعي واجتماعي، وهو قائم على نظام، وقد يضعُف هذا النظام في الاستعمال، ذلك أن الفرد في الكلام قد تكون له طريقته الخاصة في التكلم أو أسلوبه الخاص.

وخلاصة القول: إن دي سوسير ميّز بين ما هو ملَكة عامة (اللغة)، وما هو تواضع بشري اجتماعي (اللسان)، وما هو إنجاز فردي ملموس بوعي واختيار (الكلام).

المحاضرة (2)

اللهجة: المصطلح والمفهوم

اللغة ركيزة من أهمّ الركائز البشرية، فهي وسيلة التواصل بينهم، ولهذا فإن الله تعالى حين تحدّث عن خلق الإنسان، تحدث عن أهم شيء فيه، وهو البيان، أي "إلهامه النطق الذي به يستطيع أن يَبِين عن رغائبه ومقاصده"[1]؛ قال تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾. [الرحمن، 1،2،3].

وهذه اللغة دائمة الاتساع والتطوّر، فهي تولد وتموت وتدخل العديد من الصراعات التي تحدّد مدى قوّتها وتماسكها، فإن كانت لغةً ضعيفة، فإنّها ستقع تحت تأثير غيرها من اللغات، وربما ستحلّ محلّها إلى أن تموت في نهاية المطاف، وهذا ما حدث مع اللغة اللاتينيّة القديمة والساميّة وغيرها من اللغات.

وفي ظلّ تلك الصراعات تنشأ أشكال أخرى للغة، تعيش في أكناف اللغة الأصليّة حيث تأخذ في الوصف ملامح اللغة الأم باختلاف في التفاصيل، وقد أُطلق على هذه الأشكال اسم اللهجة.

أولا–تعريف اللهجة:

1– لغة:

أصل اللهجة: الولوع بالشيء؛ قال الليث: لَهِجَ فلان بكذا وكذا: إذا أُولع به، ولَهِج الفصيلُ بِأُمِّه يَلهج: إذا اعتادَ رضاعها[2].

ولقد بيّن ابن فارس في مادة (لهج) أن اللام والهاء والجيم أصل صحيح يدل على المثابرة على الشيء وملازمته، وأصل آخر يدل على اختلاط في أمر[3].

---

[1] – أوضح التفاسير، محمد عبد اللطيف بن الخطيب، المطبعة المصرية ومكتبتها، ط6، 1383هـ – 1964م، 1/ 656.

[2]– تهذيب اللغة، 6/ 36.

[3]– مقاييس اللغة، 5/ 214.

ونحن في بحثنا هذا يعنينا الأصل الأول، وقد وضحه بعد ذلك قائلا: "لهج بالشيء، إذا أُغري به وثابر عليه... وَقَوْلُهم: هو فصيح اللَّهْجَةِ وَاللَّهَجَةِ: اللّسان، بما ينطق به من الكلام، وَسُمّيت لهجة لِأنّ كُلاًّ يَلهج بلغتِه وكلامه"[1]، واللَّهْجَةُ واللَّهَجَةُ أيضا: طرَف اللّسان وجرْس الكلام[2]. ويقال: فلان فصيح اللَّهْجَةُ واللَّهَجَةُ، وهي لغته التي جبل عليها فاعتادها ونشأ عليها[3].

2- مصطلح اللهجة عند القدماء:

لا تعني اللهجة في كتب العربية ومعاجمها ما اصطلح عليه اليوم، وإنما كانت تختص بجرْس اللسان لكل أحد، وكيفية استعماله للغة الأم، فيقال فلان فصيح اللهجة[4]، وهي لُغَتُه التي جُبِل عليها فاعتادها ونَشَأ عليها، ولم يستعمل العرب مصطلح اللهجة على النحو الذي نعرفه في الدرس اللغوي، ومع ذلك فإن كتبهم تعرضت لما نسميه لهجات القبائل العربية، كعنعنة تميم[5] وكشكشة ربيعة[6] ونحوها، ولم تكن تسميها لهجة، بل كانت تسميها لغة، كما نجد ذلك في (العين) مثلا؛ قال الخليل: الخَبْعُ: الخَبْءُ في لغة تميم، يجعلون بدل الهمزة عَينا[7]، وعند ابن فارس في (الصاحبي) حيث عقد بابا للغات المذمومة[8]، فما خالف اللغة الأم في الإعراب والحركات وبعض المفردات، فإنه لغة حسب الأقدمين لا لهجة.

---

[1] - السابق، 5/ 215.

[2] - المحيط في اللغة، 3/ 378.

[3] - لسان العرب، 2/ 359.

[4] - تهذيب اللغة، 6/ 36.

[5] - العنعنة في قيس وتميم تجعل الهمزة المبدوء بها عينا ، فيقولون في إنك عنك، وفي أسلم عسلم. ينظر: تاج العروس من جواهر القاموس، 1/ 22.

[6] - الكشكشة في ربيعة ومضر يجعلون بعد كاف الخطاب في المؤنث شينا، فيقولون: رأيتكش ومررت بكش. ينظر: تاج العروس من جواهر القاموس، 1/ 22.

[7] _ العين، 1/ 123.

[8] _ الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، ص 29.

وهذا ما يتضح عند ابن جني، وهو يبيّن اختلاف بعض العرب في اسم الصقر بين الصاد والسين والزاي؛ يقول: "ورويت عن الأصمعي قال: اختلف رجلان في الصقر، فقال أحدهما: الصّقر بالصاد، وقال الآخر: السَّقر بالسين، فتراضيا بأول وارد عليهما، فحكيا له ما هما فيه، فقال: لا أقول كما قلتما؛ إنما هو الزّقر. أفلا ترى إلى كل واحد من الثلاثة كيف أفاد في هذه الحال إلى لغته لغتين أخريين معها، وهكذا تتداخل اللغات"[1].

وكثيرا ما يشير أصحاب المعاجم إلى لغة تميم ولغة طيء ولغة هذيل، ولا يريدون بمثل هذا التعبير إلا ما نعنيه نحن الآن بكلمة اللهجة[2].

3- مصطلح اللهجة عند المحدثين:

يرى المحدثون أن اللهجة هي تنوع لغوي تاريخي أو اجتماعي يختلف عن اللغة الفصحى التي تكون في ذاتها لهجة مفضلة في النطق، أو في النحو، أو في المفردات أو هي تنوع لغوي يرتبط بأناس ينتمون إلى منطقة جغرافية معينة، فتكون لهجة إقليمية، أو ينتمون إلى طبقة اجتماعية معينة، فتكون لهجة اجتماعية، وتسمى عملية انشقاق اللغة الواحدة إلى عدة لهجات بالتشعب اللغوي.

وقد عرفها إبراهيم أنيس بقوله: "اللهجة هي مجموعه من الصفات اللغوية تنتمي إلى بيئة خاصة، ويشترك في هذه الصفات جميع أفراد هذه البيئة، وبيئة اللهجة هي جزء من بيئة أوسع وأشمل، تضم عدة لهجات، لكل منها خصائصها، ولكنها تشترك جميعا في مجموعة من الظواهر اللغوية التي تيسّر اتصال أفراد هذه البيئات بعضهم ببعض، وفهْم ما قد يدور بينهم من حديث فهماً يتوقف على قدر الرابطة التي تربط بين هذه اللهجات. وتلك البيئة الشاملة التي تتألف من عدة لهجات هي التي اصطُلح على تسميتها باللغة "[3].

---

[1] - الخصائص 1/ 375.

[2] - في اللهجات العربية، إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، ط8، 1992م، ص17.

[3] - نفسه، ص16.

ثانيا–العلاقة بين اللغة واللهجة:

إن العلاقة بين اللغة واللهجة هي العلاقة بين العام والخاص؛ فاللغة تشتمل عادة على عدة لهجات، لكل منها ما يميزها، وجميع هذه اللهجات تشترك في مجموعة من الصفات اللغوية، والعادات الكلامية التي تؤلف لغة مستقلة عن غيرها من اللغات.

واللغة العربية واحدة من هذه اللغات، تشعبت إلى لهجات مختلفة، وتباعد بعضها عن بعض، منذ أن امتد انتشارها حتى تباينت عن اللغة الأم في كثير من المظاهر الصوتية، والصرفية، والنحوية، والدلالية، فسلكت كل لهجة منها في تطورها منهجا يختلف عن منهج غيرها، تحت تأثير الظروف المحيطة بها، وهذا أمر طبيعي مما يقتضيه قانون اللغات: أنه متى انتشرت اللغة في مناطق واسعة من الأرض وتكلم بها طوائف مختلفة من الناس، استحال عليها الاحتفاظ بوحدتها الأولى أمدا طويلا، بل لا تلبث أن تتشعب إلى لهجات، وتسلك كل لهجة من هذه اللهجات في سبيل تطورها منهجا يختلف عن منهج غيرها، ولا تنفك مسافة الخلف تتسع بينها حتى تصبح كل لهجة منها لغة متميزة مستقلة غير مفهومة إلاّ إلى أهلها...ولكنها تظل مع ذلك متفقة في وجوه أخرى، إذ يترك الأصل الأول في كل منها آثارا تنطق بما بينها من صلات القرابة ولحمة نسب لغوي، وكثيرًا ما يبقى الأصل الأول مدة ما لغة أدب وكتابة بين الشعوب الناطقة باللغات المتفرعة منه، ولكنه لا يلبث أن يتنحى عن ذلك بعد أن يكتمل نمو هذه اللغات[1].

وقد تطورت دراسة اللهجات فصارت علْما قائما بذاته، يسمى (علم اللهجات)، أو (الجغرافيا اللغوية)، والأول أشهر، وهو العلم المعني بدراسة هذه التنوعات اللغوية الإقليمية أو الاجتماعية أو التاريخية للوقوف على صور تطورها، وعلى القوانين التي تحكم هذا التطور، وصور التأثير والتأثر بين التنوعات اللغوية المختلفة.

[1] – علم اللغة، علي عبد الواحد وافي، ص 175.

المحاضرة (3)

أسباب نشوء اللهجات

ليست الكائنات الحية وحدها هي التي تتصارع على البقاء، فاللغات –كذلك– يحدث بينها ما يحدث بين الكائنات الحية من احتكاك وصراع وتنازع على البقاء وسعي وراء الغلب والسيطرة، ويحدث نتيجة عن هذا الصراع والاحتكاك تشعّب اللغات وتفرّعها.

ويبين الدكتور على عبد الواحد وافي أن العامل الرئيسي في تفرع اللغة إلى لهجات ولغات هو سعة انتشارها، غير أن هذا العامل لا يؤدي إلى ذلك بشكل مباشر، بل يتيح الفرصة لظهور عوامل أخرى تؤدي إلى هذه النتيجة، وباستقراء هذه العوامل في الماضي والحاضر يظهر أن أهمها يرجع إلى ما يلي:

1– عوامل سياسية: تتعلق باستقلال المناطق التي انتشرت فيها اللغة بعضها عن بعض وضعف السلطان المركزي الذي كان يجمعها ويوثق ما بينها من علاقات، وذلك أن اتساع الدولة وكثرة المناطق التابعة لها واختلاف الشعوب الخاضعة لنفوذها... كل ذلك يؤدي غالبًا إلى ضعف سلطانها المركزي، وتفككها من الناحية السياسية، وانقسامها إلى دويلات أو دول مستقل بعضها عن بعض. وغنيٌّ عن البيان أن انفصام الوحدة السياسية يؤدي إلى انفصام الوحدة الفكرية واللغوية.

2– عوامل اجتماعية نفسية أدبية: تتمثل فيما بين سكان المناطق المختلفة من فروق النُّظم الاجتماعية والعرف والتقاليد والعادات ومبلغ الثقافة ومناحي التفكير والوجدان، فمن الواضح أن الاختلاف في هذه الأمور يتردد صداه في أداة التعبير.

3– عوامل جغرافية: تتمثل فيما بين سكان المناطق المختلفة من فروق في الجو وطبيعة البلاد وبيئتها وشكلها وموقعها ... وما إلى ذلك، وفيما يفْصل كل منطقة عن غيرها من جبال وأنهار وبحار وبحيرات... فلا يخفى أن هذه الفروق والفواصل الطبيعية تؤدي عاجلًا أو آجلًا إلى فروق وفواصل في اللغات.

4- عوامل شعبية: تتمثل فيما بين سكان المناطق المختلفة من فروق في الأجناس والفصائل الإنسانية التي ينتمون إليها، فمن الواضح أن لهذه الفروق آثارًا بليغة في تفرع اللغة الواحدة إلى لهجات ولغات.

5- عوامل جسمية فيزيولوجية: وتتمثل فيما بين سكان المناطق من فروق في التكوين الطبيعي لأعضاء النطق، فمن المحال مع فروق كهذه، أن تظل اللغة محتفظة بوحدتها الأولى أمدًا طويلًا.

فانقسام المتكلمين باللغة الواحدة تحت تأثير هذه العوامل إلى جماعات متميزة، واختلاف هذه الجماعات بعضها عن بعض في شئونها السياسية والاجتماعية، وفي خواصها الشعبية والجسمية والنفسية، وفيما يحيط بها من ظروف طبيعية وجغرافية، كل ذلك يوجّه اللغة عند كل جماعة منها وجهة تختلف عن وجهتها عند غيرها، ويرسم لتطورها في النواحي الصوتية والدلالية وغيرها منهجًا يختلف عن منهج أخواتها، فتتعدد مناهج التطور اللغوي حسب تعدد الجماعات، ولا تنفك مسافة الخلف تتسع بين اللهجات الناشئة عن هذا التعدد، حتى تصبح كل لهجة منها لغة متميزة مستقلة غير مفهومة إلّا لأهلها[1].

وإن من بين العوامل التي أدت إلى اختلاف اللهجات العربية الحديثة هو اختلاف اللغات التي اصطدمت بها اللغة العربية أثناء انتشارها، لأن اللغة العربية التي جلبها العرب الفاتحون معهم والمهاجرون من بعدهم وصلت في صورتين: "إحداهما موحدة منسجمة وتلك هي لغة الآثار الأدبية والقرآن الكريم، والأخرى تشتمل على تلك الصفات الكلامية التي امتازت بها لهجات القبائل المتباينة"[2].

وهذه اللهجات المختلفة التي انتقلت مع المسلمين من شبه الجزيرة العربية، اصطدمت بأخرى مختلفة عنها تماما، مما أدى إلى اصطدامها واحتكاكها بها، وهنا كان لابد من صراع

---

[1] - علم اللغة، وافي ص175، 176.

[2] - في اللهجات العربية، إبراهيم أنيس، ص26.

بين اللهجتين؛ لهجة السكان الأصليين ولهجة الفاتحين، وقد أدى إلى سيادة إحداهما وسقوط الأخرى، ولكن هذه الأخيرة لم تفنَ إلا بعد أن تركت بعض الآثار في اللهجات العربية على الأقل من الناحية الصوتية والمعجمية، فلقد دام صراع القبطية مع العربية ثلاثة قرون، أدت في الأخير إلى انتصار العربية، لكنها خرجت من هذه الاحتكاكات ممثلة بآثار القبطية، الأمر نفسه مع الآرامية في معظم بلاد العراق والشام، والأمازيغية في شمال إفريقيا، حيث تأثرت العربية ولهجاتها في كل منطقة من هذه المناطق بلهجاتها القديمة، يقول الجاحظ: "وأهل الأمصار إنما يتكلمون على لغة النازلة فيهم من العرب، ولذلك تجد الاختلاف في ألفاظ أهل الكوفة والبصرة والشام ومصر"[1].

أما هذه الصفات الصوتية التي أثرت في اختلافات اللهجات العربية الحديثة، فلم تتعد:

1. الاختلاف في مخارج بعض الأصوات.
2. الاختلاف في وضع أعضاء النطق مع بعض الأصوات.
3. الاختلاف في مقياس بعض أصوات اللين[2].
4. التباين في النغمة الموسيقية للكلام.
5. الاختلاف في قوانين التفاعل بين الأصوات المتجاورة حين يتأثر بعضها ببعض[3].

وأرى أن من بين العوامل الأساسية التي أدت إلى اختلاف اللهجات في الوطن العربي قديما وحديثا هو أن هذه اللهجات العربية المختلفة هي في حقيقتها منبثقة عن لهجات عربية قديمة، فالعرب في قبائلهم كانوا مختلفي اللهجات في مستويات لغوية مختلفة، صوتيا وصرفيا ونحويا ودلاليا، ولذلك يقع الآن الاختلاف بين لهجات أهل الحجاز عبر أقاليمهم

---

[1] – البيان والتبيين، الجاحظ 1/ 25 .

[2] – أصوت اللين: اصطلاح علمي لما يعرف بالحركات طويلها وقصيرها. ينظر: الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، ط5، 1975م، ص29.

[3] – في اللهجات العربية، إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، ص19.

المتنوعة، ولا يمكن أن يشكك أحد في أنهم من أصول عربية، واختلافهم اليوم ناجم عن تعدد اللهجات التي ورثوها عن أسلافهم، كما يقع الاختلاف كذلك بين أهل البلاد العربية المختلفة بسبب الأصول القبلية المختلفة للعرب الذين هاجروا إليها، فنجد في البلد الواحد عدة لهجات؛ ففي الجزائر مثلا نجد لهجة أهل الشرق تختلف عن لهجة أهل الغرب، وتختلف اللهجتان المختلفتان عن لهجة أهل الوسط، وكل إقليم من هذه الأقاليم تختلف لهجة أهل الشمال فيه عن لهجة أهل الجنوب، ثم إن أهل الشمال أو الجنوب من كل إقليم يختلفون فيما بينهم وهم داخل إقليم واحد بحسب مناطقهم؛ فأهل ولاية وادي سوف مثلا يختلفون بين منطقة وأخرى بعض الاختلاف، ويبدو ذلك واضحا بين سكان قمار وسكان مدينة الوادي وبعض القرى الأخرى.

والسبب في ذلك راجع إلى الأصول العربية القديمة المختلفة للسكان العرب من مختلف القبائل، والذين هاجروا إلى هذه المناطق، دون إغفال العوامل السابقة التي تحدث عنها الدكتور وافي.

المحاضرة (4)

موضوع علم اللهجات

اللهجات علم من علوم اللغة، وهو علم حديث لم يتناوله القدماء بهذه الطريقة التي يعالج بها اليوم، واللهجة هي جزء من لغة، وهو كما في مجمع اللغة العربية بالقاهرة: "علم يدرس الظواهر والعوامل المختلفة المتعلّقة بحدوث صور من الكلام في لغة من اللغات"[1].

- **موضوعه:**

يتناول علم اللهجات بالدراسة مختلف التغيرات التي تطرأ على أية لهجة من اللهجات، كالتغيرات الصوتية والصرفية، من تحقيقٍ وتسهيلٍ في الهمز، وقلب إبدال، وفك وإدغام ونحتٍ، وغيرها من الظواهر الصوتية المستعملة في لهجة ما، وكذا بعض الظواهر الصرفية كاستعمال اللهجة للضمائر وأسماء الإشارة والأسماء الموصولة والحذف في بنية بعض الكلمات، وغير ذلك..

كما يتناول علم اللهجات انقسام لغة ما إلى عدّة لهجات مرتبطة بها، والأسباب التي أدت إلى ذلك، والعلاقات بين اللغة الأم وبين ما تفرع عنها من لهجات، وبين كل لهجة وشقيقتها، وخصائص كل هذه اللهجات في المستويات الصوتية والصرفية والتركيبية والدلالية، وما يعرض لهذه اللهجات في صراعها وتفاعلها من قوة أو ضعف، وانزواء أو انتشار، وموت أو حياء، وما يكون من سيادة إحداها على سائرها، وتحولها إلى لغة، وبيان أسباب تلك السيادة، كما يدرس التأثير والتأثر بين اللهجات، ثم يستنبط القوانين التي سارت عليها اللغة في مراحل تطورها[2].

---

[1] – في اللهجات العربية، محمد أحمد خاطر، ص 5، نقلا عن: مجموعة المصطلحات العلمية والفنية: 93/4.

[2] – ينظر: في اللهجات العربية مقدمة للدراسة، محمد أحمد خاطر، مطبعة الحسين الإسلامية، القاهرة، 1979م، ص5.

وأهم ما يتناوله علم اللهجات بالدراسة هو التغيرات التي تطرأ على كلمات اللغة، كالتغيرات الصوتية والصرفية، كالحذف، والقلب، والإبدال، والنحت، وغيرها من الظواهر المستعملة في لهجة ما، وذلك ما سنوضحه فيما يلي:

أولا–التخفيف:

يتم التخفيف بعدة أشكال: وذلك كحذف الهمزة أو تسهيلها، أو إبدالها، وسيأتي تفصيل هذا في المحاضرة العاشرة: (الجزء الأول: في المستوى الصوتي (الهمز)).

أو حذف بعض الأصوات، مثل الحذف في ألفاظ: (**ضرك أو ضركا، أو دوكا أو درْوك أوضرْوك**):

وهذه الألفاظ يعبر بها الجزائريون عن معنى الآن، وهي ليست مستعملة في لهجة سوف، فحين يريد أن يقول لك سآتيك الآن، يقول لك: ضرك انجيك.

وهذا اللفظ موجود بصيغ مختلفة عند المشارقة، فمنهم من يقول: (دلوقت)، ومنهم من يبدل القاف ألفا، ومنهم من يقول: (دلْوك)...

وهذه الكلمات كلها مختصرة من عبارة (هذا الوقت)، ففي لفظ (دلْوَك) مثلا أزيلت هاء التنبيه من اسم الإشارة (هذا) فصار(ذ)، واختصر الوقت إلى (الوَق) بحذف التاء تخفيفا، ثم حدث إبدالان لتسهيل الكلمة؛ فأبدلت الذال دالا، والقاف كافا، فصارت (دالوك)، ثم حذفت ألف (ال)، فصارت: (دلوك).

وعلى هذا النمط اختصرت (ضروك) الجزائرية، ولكنها أبدلت بعض الأصوات، فأبدلت اللام من (دلوك) راء، فصارت (درْوك)، والراء تنطق بالتفخيم، مما يحتم على الناطق تفخيم الدال للمماثلة، فقارب الضاد، فصار (ضرْوك)، وتصرف الجزائريون بعد ذلك في تخفيف هذا اللفظ فمنهم من أبقاه على أصله، ومنهم من أزال الواو (درْك)، ومنهم من أضاف إلى هذا المختصر هاء السكت: (درْكه) أو الأف (درْكا)، ومنهم من أزال الراء، فقال: (دوْكا).

ثانيا–القلب: وذلك بقلب بعض الأصوات قلبا مكانيا، أي: تغيير ترتيبها بتقديم بعضها وتأخير بعضها الآخر، ومثالها كلمة (جُغْمة) في اللهجة والتي تعني شيئا قليلا من الماء وغيره من السوائل، فيقال: اشرب جغمة، أي: جرعة، والفعل منها: (جَغَم، يُجغُم، أُجغُم)، وهذه الكلمة لا وجود لها في المعاجم اللغة، وإنما هناك مقلوبها، وهي كلمة (غَمَج)، فغمج الماء يغمِجه غمْجًا: إذا جرعه جرعا متتابعا[1]، والغَمْجَةُ والغُمْجَةُ: الجُرْعَة[2].

ويبدو أنه وقع قلْب في الكلمة في اللهجة، فتحولت من (الغُمْجَة) إلى (الجُغْمة)، والقلب من سنن العرب في كلامها[3].

ثالثا– الإبدال: وذلك بجعل أحد الأصوات مكان الآخر؛ ككلمة (جغمة) المذكورة سابقا.

رابعا– النحت: وهو أخْذ كلمة من كلمتين متعاقبتين أو أكثر، واشتقاق فعل منها، ومثاله: كلمة (**قرْقطْ**) في اللهجة وتدل على القطع، وتُستعمل عند القطع بالمقصّ، أما بالسكين فلا يقال (**قرقط**)، بل يقال: (**قرَط أو قطَع**).

وفعل (**قرْقَطْ**) لا وجود له في المعاجم، وإنما يوجد فعل (قرَطَ) الذي يدل على القطع[4].

ويبدو أن فعل (قرقط) منحوت من فعلين هما (قرط قرط)، لأن القطع بالمقصّ يتطلب أداتين قاطعتين لا أداة واحدة، كما هو الحال عند القرط بالسكين، وما دام المقص يتكون من سكّينين يتم القطع بهما معا، فالقرْط مزدوج، فازدوج الفعل، وصار عندنا فعلان: (قرط قرط)، وقد حدث نحت بينهما، فاندمجا معا، فتكوّن منهما فعل واحد منحوت هو فعل (**قرْقَطْ**)[5].

---

[1]– تاج العروس، 6/ 132.

[2]– لسان العرب، 2/ 336.

[3] – معجم الفصيح، 54/1.

[4] – تاج العروس، 20/ 11.

[5] – معجم الفصيح، 162/1.

- **أهم المؤلفات في هذا العلم:**

إن علماء العربية القدامى لم يطلقوا مصطلح اللهجة على هذا الموضوع، ولكنهم كانوا يسمّونه اللغة أو اللّحن، وقد ألف عدد منهم كتبًا، أطلقوا عليها اسم (اللغات) مثل: الفراء (ت207هـ)، والأصمعي (ت 212هـ)، وأبي يزيد الأنصاري (ت 215هـ)، ويونس بن حبيب (ت 283هـ)، وغيرهم.

وقد ألفوا كذلك في (لغات القرآن) مثل كتاب: (ما ورد في القرآن الكريم من لغات القبائل) لأبي عبيد القاسم بن سلام.

وقد جاء في بعض ثنايا الكتب القديمة حديث عن اللهجات العربية؛ فالناظر في كتاب (الخصائص) يجد أن ابن جني ضمّنه أبوابا تتناول موضوع اللغات، فقد أورد بابا بعنوان: (باب في الفصيح يجتمع في كلامه لغتان فصاعدا) [1]، و(باب في تركيب اللغات) [2]، و(باب اختلاف اللغات وكلها حجة) [3]...

وفي كتاب (المزهر في علوم اللغة وأنواعها) للسيوطي، نجده قد خصص النوع العاشر لمعرفة الضعيف والمنكر والمتروك من اللغات [4]، والنوع الحادي عشر لمعرفة الرديء المذموم من اللغات [5]...

أما في العصر الحديث، فقد حدث تطور كبير في دراسة اللهجات، وصار علما مستقلا بذاته، وقد بدأ التطور عند الغربيين، وخصوصا في القرنين: التاسع عشر والعشرين، ثم انتقل الاهتمام بها إلى العرب، ولم تلق حفاوة لدى العرب في بداية الأمر، بل نظر إليها كثير من الباحثين نظرة ريبة، لأنهم كانوا يظنون أن دراسة اللهجات مطروحة كبديل عن دراسة اللغة

---

[1] – الخصائص، ابن جني، 371/1.

[2] – نفسه، 376/1.

[3] – نفسه، 12/2.

[4] _ المزهر في علوم اللغة وأنواعها (1/ 169)

[5] – نفسه، 1/175

الفصحى، مما يترتب عنه تهديد مباشر للقرآن الكريم، وتهديد للغة القرآن، وتهديد للوحدة العربية التي يجمعها القرآن الكريم واللسان العربي المبين، يقول الدكتور: إبراهيم أنيس وهو يبين تطور موضوع دراسة اللهجات عند الغربيين: "تعد دراسة اللهجات من أحدث الاتجاهات في البحوث اللغوية، فلقد نمت هذه الدراسة بالجامعات الأوربية خلال القرنين التاسع عشر والعشرين، حتى أصبحت الآن عنصرا هامًّا بين الدراسات اللغوية الحديثة، وأُسِّستْ لها في بعض الجامعات الراقية فروع خاصة بدراستها، تُعنى بشرحها وتحليل خصائصها وتسجيل نماذج منها تسجيلا صوتيًّا يبقي على الزمن"[1].

وممن ألفوا في هي هذا الموضوع: الدكتور: إبراهيم أنيس في كتابه: (في اللهجات العربية)، والدكتور: أحمد علم الدين الجندي في كتابه المهم: (اللهجات العربية في التراث) وغيرها...

وفي بلادنا بدأت تظهر بعض الدراسات اللّهجية، ومنها ما ظهر بمنطقتنا، ككتاب: القول الفصل في الرجوع بالعامية إلى الأصل للشيخ محمد الطاهر التليلي رحمه الله، وما كتبه الدكتور أحمد زغب في هذا الشأن، وما كتبه الدكتور نور الدين مهري في كتابه: (معجم الفصيح في لهجة وادي سوف) وبعض المقالات المنشورة.

[1] – في اللهجات العربية، إبراهيم أنيس، ص9.

المحاضرة (5)

اللهجات العربية القديمة

تنتمي العربية إلى أسرة اللغات السامية، وقد انبثقت هذه اللغة بجميع لهجاتها من مجموعة من اللهجات التي تسمى بلغات شمال الجزيرة العربية القديمة، أما لغات جنوب الجزيرة العربية أو ما يسمى الآن باليمن وأجزاء من عمان، فتختلف عن اللغة العربية الشمالية، ولا تشترك معها إلا في كونها من اللغات السامية، وقد كان علماء المسلمين المتقدمون يدركون ذلك حتى قال أبو عمرو بن العلاء: "ما لسان حِمْيَر وأقاصي اليمن بلساننا، ولا عربيتهم بعربيتنا"[1].

وقد تطورت اللغة العربية عبر مئات السنين حتى أصبحت – قبيل الإسلام – تسمى لغة مضر، وكانت تستخدم في شمال الجزيرة، بينما كانت اللغة العربية الجنوبية القديمة لغة (حِمْيَر) نسبة إلى أعظم ممالك اليمن حينذاك.

وقد تعددت لغات العرب، فكانت هناك لغة لقريش، ولغة لهذيل، ولغة لربيعة، ولغة لقضاعة... وكل قوم من العرب يفهمون غيرهم بسهولة.

وكان نزول القرآن في تلك الفترة هو الحدث العظيم الذي خلّد إحدى لغات العرب حينذاك، وهي لغة قريش والحجاز.

وإذًا، فقد كان العرب على قسمين: العرب القحطانية والعرب العدنانية، والجميع وإن كانوا عربًا من أصل واحد، ولغتهم في الأصل كانت واحدة، فإن النظام الخاص الذي ساروا عليه في الحياة والمعيشة كفيل بأن يجعل كُلاّ منهم يتخذ لنفسه أسلوبًا خاصًّا في التعبير وكيفية النطق بالألفاظ.

ولا شك في أن عربية كلٍّ من القسمين دخلها –بمرور الزمن– بعض التغيرات، فكان هناك بعض اختلاف بين عربية الجنوب وعربية الشمال، كما عبر عن ذلك أبو عمرو بن

[1] – طبقات فحول الشعراء، 5/2.

العلاء في قوله السابق، وكل من هذين القسمين الكبيرين قد تكاثر، فتعددت قبائله، وتبع ذلك أنْ صار لكل قبيلة لهجة خاصة، بينها وبين غيرها من أخواتها اللهجات الأخرى بعض الاختلاف في الأصوات ودلالات الألفاظ، كما هو المشاهد في جميع الأقطار في شتى العصور[1]، فلا يكاد يخلو عصر من وجود خلافات لسانية بين كل مكان وآخر.

وقد بيّن ابن فارس في كتابه (الصاحبي) أن لهجات العرب تختلف فيما بينها من وجوه:

1-الاختلاف في الحركات: كقولنا نَستعين بفتح النون وكسرها، قال الفراء: هي مفتوحة في لغة قريش وأسد، وغيرهم يقولونها بكسر النون.

2-الاختلاف في الحركة والسكون: مثل قولهم معَكم ومعْكم، بفتح العين وتسكينها.

3-الاختلاف في إبدال الحروف: نحو أولئك وأولالك. ومنها قولهم: أن زيدًا وعَنَّ زيدًا، ومن ذلك الاختلاف في الهمزة والتليين نحو مستهزِئون ومستهزُون.

4-الاختلاف في التقديم والتأخير: نحو (صاعقة) في لغة الحجازيين، و(صاقعة) في لغة التميميين.

5-الاختلاف في الحذف والإثبات: نحو استحيَيت واستحيْت. وصددت وأصددت.

6- الاختلاف في الحرف الصحيح يبدل حرفًا معتلًّا: نحو أمَّا زيد وأيْما زيد.

7-الاختلاف في الإمالة والتفخيم: مثل قضى ورمى، فبعضهم يفخّم وبعضهم يميل.

8-الاختلاف في الحرف الساكن يستقبله مثله: فمنهم من يكسر الأول، ومنهم من يضم، فيقولون: "اشترَوُا الضلالة"، و"اشترَوِ الضلالة"، بضم الواو وكسرها.

[1] - في تاريخ الأدب الجاهلي، علي الجندي، مكتبة دار التراث، دار التراث الأول، 1412هـ - 1991م، ص95.

9–الاختلاف في التذكير والتأنيث: فإن من العرب من يقول: هذه البقر وهذه النخيل، ومنهم من يقول: هذا البقر وهذا النخيل.

10–الاختلاف فِي الإدغام: نحو: مهتدون ومُهَدُّون.

11–الاختلاف في الإعراب: ما زيد قائمًا وما زيد قائمٌ، وإنّ هذين وإنّ هذان. وهذان بالألف دائمًا لغة لبني الحارث بن كعب.

12–الاختلاف في صورة الجمع: نحو أسْرى وأسَارى.

13–الاختلاف في التحقيق والاختلاس: نحو (يأمركم) بضم الراء وتسكينها، ونحو (عُفيَ له) بتسكين الفاء وكسرها.

14–الاختلاف فِي الوقف عَلَى هاء التأنيث: مثل (هَذِهِ أُمَّهْ) و(هَذِهِ أمَّتْ).

15–الاختلاف في الزيادة: نحو (أنظر وأنظور)[1].

والواو في (أنظور) تسمى واو الإشباع مثل قولهم (البرقوع)، والعرب تصل الضمة بالواو. وحكى الفراء: أنظور، في موضع أنظر؛ وأنشد:

لَوْ أَنَّ عَمْراً هَمَّ أَن يَرْقُودا * فانْهَضْ، فشُدَّ المِئْزَرَ المعْقُودا

أراد: أن يرقد، فأشبع الضمة ووصلها بالواو؛ وأنشد:

اللهُ يَعْلَـــم أَنَّا فِي تَلَفُّـــتِنا * يومَ الفِراقِ إِلى إِخوانِنـا صُورُ[2]

وأَنَّني حَيْثُما يَثْني الهَوَى بَصَري * مِنْ حَيْثُما سَلَكُوا أَدْنُو فأَنْظُورُ

أراد: فأنظر[3].

وقال ابن فارس: "يقع في الكلمة الواحدة لغتان كقولهم: الحِصاد والحَصاد، ويقع فيها ثلاث لغات، نحو: الزُّجاج والزَّجاج والزِّجاج، ويقع فيها أربع لغات، نحو: الصِّداق

---

[1] _ الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها ص 25 وما بعدها.

[2] – الصَّوَرُ: المَيْل، والرجلُ يَصُور عُنُقَه إلى الشيء: إذا مال نحوَه بعنُقه، والنَّعتُ أَصْور. ينظر: تهذيب اللغة، 12/ 159. يريد أنهم كانوا يوم الفراق دائمي التلفت نحو أحبابهم.

[3] – لسان العرب، 15/ 488.

والصَّداق والصَّدَقة والصُّدُقة، ويكون فيها خمس لغات، مثل: الشَّمال والشَّمَل والشَّمْل والشَّمْأل والشَّمِل، ويكون فيها ستُّ لغات نحو: قُسْطاس وقِسْطاس وقِصْطَاس وقُسْتَاط وقِسَّاط وقُسَّاط"[1] .

وقد كان لكل لهجة من اللّهجات ميزة واضحة عرفت بها، اعتبرها اللغويون هِنة أو عيبا، ولم تسلم من ذلك سوى لغة قريش، وكانت قريش تستمع إلى هذه اللغات، فتختار منها أحسنها وأصفاها، وتترك منها ما تراه مخلًّا بالفصاحة، وقد نقل السيوطي عن أبي نصر الفارابي: "أن قريشًا كانت أجود العرب انتقادًا للأفصح من الألفاظ، وأسهلها على اللسان عند النطق، وأحسنها مسموعًا وإبانة عما في النفس"[2].

ومن هنا كانت لغة قريش هي أفصح لغات العرب، والسبب في ذلك أنها تكلمت بما استحسنته من لغات العرب، وقد نقل السيوطي عن الفراء قوله: "كانت العربُ تحضر الموسِم في كل عام وتحجُّ البيتَ في الجاهلية، وقريشٌ يسمعون لغاتِ العرب، فما اسْتحسنوه من لغاتهم تكلموا به، فصاروا أفصحَ العرب، وخلَتْ لغتُهم من مُستبْشع اللغات ومُستقبَح الألفاظ"[3].

وقد رووا عن ثعلب: "ارتفعت قريش في الفصاحة عن عنعنة تميم، وكشكشة ربيعة، وكسكسة هوازن، وتضجّع قيس[4]، وعجرفية ضبة[5]، وتلتلة بهراء[6]"[7].

وسنبين فيما يلي ما تميزت به لهجات بعض القبائل العربية:

---

[1] – المزهر في علوم اللغة وأنواعها، 1/ 206.

[2] – الاقتراح في أصول النحو، ص 47.

[3] –نفسه، ص 175.

[4] – المراد بالتضجع هنا: المبالغة في إمالة الحركات، وسيأتي تفصيل لذلك في المحاضرة السابعة.

[5] – العجرفية: هي التقعر في الكلام وتنسب إلى قبيلة ضبة.

[6] – التلتلة: هي كسر حرف المضارع.

[7] – الخصائص، 2/ 13.

1- عجعجة قضاعة: وهي إبدال الياء المتطرفة بعد عين جيما، نحو: الساعج خرج معج، وفقيم تبدل الياء جيما إن وقعت في الآخر مشددة أو ساكنة، فالأول كقول الشاعر:

خالِي عُوَيْفٌ وأَبُــو عَلِجّ * المطْعِمَانِ اللَّحْمَ بالعَشِجّ

فقوله علج هو عَلِيّ، والعَشِج: العشي [1].

والثاني كقول الآخر:

يَا رَبِّ إنْ كُنْتَ قَبِلْتَ حَجَّتِجْ * فلا يزال شاحجٌ[2] يأتيك بجْ[3]

ولغة فقيم أعم من لغة قضاعة.

وقد ورد في بعض لغات العرب عكس هذا الإبدال، قال الشاعر:

إذا لَمْ يكُنْ فِيكُنَّ ظِلٌّ ولا جَنًى * فأَبْعَدَكُنّ اللَّهُ من شيَرَاتِ

أي: شجرات.

2- فحفحة هذيل: وهي إبدال الحاء عينا، كقولهم: عَلَت العَياة لكل عيّ، أي: حلت الحياة لكل حي.

3- عنعنة تميم وقيس: وهي جعل الهمزة المبدوء بها عينا، نحو: عِنّك فاضل، وعنْت كريم، في: إنك فاضل، وأنت كريم.

---

[1] _ تاج العروس من جواهر القاموس، 5/ 396.

[2] - الشاحج: البغل.

[3] - شرح شافية ابن الحاجب، الرضي الأستراباذي 2/ 287

4- استنطاء سعد وهذيل والأزد وقيس والأنصار: وهو جعل العين الساكنة نونا إذا جاورت الطاء، فيقولون في أعطى درهما: أنطى درهما، وقرئ شذوذا: "إنا أنطيناك الكوثر"، وفي الحديث: "فإن اليد العليا هي المنطية، واليد السفلى هي المنطاة"[1].

5- كشكشة ربيعة ومضر: وهم في ذلك طوائف؛ فطائفة تجعل بعد الكاف المخاطبة المؤنثة شينا في الوقف فقط وهو الأشهر، وطائفة تثبتها في الوصل أيضا، وطائفة تجعل مكان كاف المخاطبة المؤنثة شينا مكسورة في الوصل ساكنة في الوقف. وحكى بعضهم أنه سمع أعرابية تقول لجاريتها: "ارجعي وراءشي، فإن مولاشي يناديشي" أي: وراءك ... إلخ، وروي قول الشاعر:

فعَيْناشِ عَيْنَاهَا وجِيدُشِ جِيدُها * ولكِنَّ عَظْمَ السّاقِ مِنْشِ رَقِيقُ

أي:

فعيناكِ عيناها وجيدكِ جيدها * ولكِنَّ عَظْمَ السّاقِ مِنْكِ رَقِيقُ

6- كسكسة ربيعة ومضر: يجعلون بعد الكاف أو مكانها سينا في خطاب المذكر؛ ليفرقوا بين خطاب المذكر وخطاب المؤنث، يقولون: "عرفتسْ لما أن نظرتس".

7- وهْم كلب: وهو كسر هاء الغيبة متى وليَتها ميم الجمع مطلقا نحو: منهِم وعنهِم وبينهِم، والفصيح أنها لا تكسر إلا إذا كان قبلها ياء أو كسرة مثل: عليهِم وبهِم.

وزاد السيوطي في المزهر في الرديء المذموم من لغات العرب قلب الكاف جيما؛ يقولون: الجعبة في الكعبة[2].

---

[1] - المستدرك على الصحيحين، محمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري، تح: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، ط1، 1411هـ- 1990م، 363/4.

[2] - قصة الأدب في الحجاز، ص 192 وما بعدها.

وقال الجاحظ في البيان والتبيين: قال معاوية يوما: من أفصح الناس؟ فقال قائل: قوم ارتفعوا عن لخلخانية الفرات[1] وتيامنوا عن كشكشة تميم، وتياسروا عن كسكسة بكر، ليس في لغتهم غمغمة قضاعة[2] ولا طمطمانية حمير[3]، قال: من هم؟ قال: قريش[4].

ومع أن اللغويين القدامى وغيرهم اعتبروا هذه الخصائص السابقة هِنات لغوية، إلا أنها مادامت العرب قد نطقت بها، فهي ليست خطأ في اللغة؛ قال ابن جني: "إلّا أن إنسانًا لو استعملها لم يكن مخطئًا لكلام العرب، لكنه كان يكون مخطئًا لأجود اللغتين. فأمَّا إن احتاج إلى ذلك في شعر أو سجع فإنه مقبول منه، غير منعيّ عليه، وكذلك إن قال: يقول على قياس من لغته كذا كذا، ويقول على مذهب من قال كذا كذا، كيف تصرفت الحال فالناطق على قياس لغةٍ من لغات العرب مصيب غير مخطئ، وإن كان غير ما جاء به خيرًا منه"[5].

[1] – اللخلخانية: قيل: العجمة في المنطق، وقيل: هي في مثل قولهم: مشا الله كان، يريدون ما شاء الله كان.

[2] – غمغمة قضاعة: وهي إخفاء الحروف عند الكلام فلا تكاد تظهر.

[3] – طمطمانية حمير: وهي جعل (ال) (أم)، نحو: امْهواء في الهواء.

[4] _ البيان والتبيين 3/ 145.

[5] – الخصائص 2/ 14.

المحاضرة رقم (6)

نظرة القدامى إلى اللهجات العربية

لقد عاش العرب في قبائل مختلفة، لكل قبيلة كيانها الخاص وجغرافيتها المحددة، وكل كيان مستقل سياسيا عن غيره، وإن كان أصلهم واحدا، وبما أن اللغة تنمو وتتطور بصفة مستمرة، فقد أدى ذلك الانعزال إلى نمو اللغة وتطورها في مناطق متعددة، مما ينجرّ عنه خلافات في مستويات اللغة المختلفة.

أولا–اهتمام اللغويين والنحاة القدامى باللغة الأدبية:

بعد فترة من مجيء الإسلام ونزول القرآن الكريم انطلقت الدراسات اللغوية بعد أن نشأ الاختلاط بين العرب والعجم إثر الفتوحات الإسلامية وشيوع اللحن على ألسنة الناس، فخاف العلماء على الإسلام وكتابه من أثر ذلك.

وقد برزت نتيجة لذلك فروع الدراسات اللغوية، كصناعة المعاجم عن طريق جمع اللغة من الأعراب الفصحاء وتدوينها، وظهور علم النحو والصرف ووضع قواعدهما بسبب الغيرة على القرآن الكريم وصونه من التحريف، ورواية أبي الأسود الدؤلي مع القارئ الذي قرأ الآية الكريمة: "أَنَّ اللهَ بَرِيْءٌ مِنَ الْمُشْرِكِيْنَ ورَسُوْلُه" بكسر اللام دليل على ذلك، ونشأت علوم البلاغة كذلك من بيان ومعان وبديع من أجل توضيح الأساليب القرآنية.

وهكذا فإن المنهج الذي سلكه علماء العربية لم يكن يستوعب كل اللغة بمختلف لهجاتها، ولو فعل ذلك، لكانت اللغة أوسع بكثير، كما قال أبو عمرو بن العلاء: "ما انتهى إليكم مما قالت العرب إلا أقلُّه، ولو جاءكم وافرا، لجاءكم عِلْم وشعر كثير"[1].

[1] المزهر في علوم اللغة وأنواعها، جلال الدين السيوطي، تح: فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1418هـ، 1998م، 401/2.

ويوضّح الرافعي ذلك فيقول: "الرواة والعلماء لم يدونوا اللهجات على مناطق العرب، ولكنهم تناقلوا من ذلك أشياء كانت لعهد الإسلام، وأشياء أصابوها في أشعار العرب مما صحّت روايته قبيل ذلك؛ أما سواد ما كتبوه فقد شافهوا به العرب في بواديها وسمعوه منهم، وهو بلا ريب من بقايا اللهجات الأولى التي كانت لعهد الجاهلية.

على أنهم لم يدوّنوا من كل ذلك إلا كفاية الحاجة القليلة في تصاريف الكلام أو ما تنهض به أدلة الاختلاف بين العلماء المتناظرين كالبصريين والكوفيين؛ أما تدوين اللهجات على أنها أصل من أصول الدلالة التاريخية في اللغة، فهذا لم يتنبه إليه أحد فيما نعلم؛ لأن أكبر غرضهم من جمع اللغة وتدوينها يرجع إلى علوم القرآن والحديث"[1].

ثانيا–خدمة القرآن الكريم هي سبب البحث في اللغة:

إن الغاية من نشوء النحو هي خدمة القرآن الكريم، والقرآن نزل بلغة أدبية رفيعة المستوى، فلا يمكن فهمه والتعامل مع ألفاظه وأساليبه إلا في ضوء الأساليب الأدبية الرفيعة عند العرب؛ يقول الدكتور تمام حسان معبرا عن ذلك: "فماذا عسى أن يكون موقفنا من النحاة في ضوء هذه الملابسات؟ أنلومهم لأنهم خالفوا مقاييسَ وطرقا منهجية لم يكن لها وجود في زمانهم، أم نرى ما رأوا من ضرورة الأخذ بهذه اللغة الأدبية؟ إن النحاة العرب لم يتصدَّوا لهذه المهمّة الجليلة (مهمة إنشاء النحو) إلا لخدمة القرآن، فلولا عنايتُهم بالمحافظة على النص القرآني من أنْ تتسرّب إليه ظاهرة اللحن، ما فكّروا في ذلك الزمان بعينه، والمكان بعينه في إنشاء النحو. والقرآن نص أُنزل باللغة الأدبية، وليس بلغة التخاطب العادية، فكان على من يودّ المحافظة على القرآن أن يدْرس اللغة التي أُنزل بها"[2].

---

[1] – تاريخ آداب العرب، مصطفى صادق الرافعي، دار الكتاب العربي، 1/ 86.

[2] الأصول، دراسة ابيستمولوجية لأصول الفكر اللغوي العربي، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، 1411هـ، 1991م، ص109.

بل لقد ذهب إلى أكثر من ذلك؛ فبيّن أنه لم يكن بوسع النحاة أن ينتهجوا غير هذا المنهج، لأن انتهاجهم منهجا غيره يُعدّ خيانة منهم لهدفهم الذي سعوا إليه، فقال: "ولو أن النحاة استخرجوا النحو من لغة التخاطب، لما وصلوا إلى ما يريدون، ولكان ذلك منهم خيانة للغاية التي سعوا إليها، وإجهاضا للغرض النبيل الذي عملوا من أجله"[1].

ثالثا– عدم اهتمام اللغويين القدامى باللهجات:

إن جامعي اللغة الأوائل ركزوا في جمعهم اللغة على اللغة الأدبية أكثر من لغة التخاطب المختلفة في القبائل، فالعرب كان لهم نهجان في التعبير؛ ففي المجال الأدبي كالخطابة والشعر مثلا، كانوا يستعملون اللغة الأدبية التي يغلب عليها التأنّي في النطق وتحقيق الهمز، وتمتاز بالبعد عن كثرة الإدغام والقلب، وأما في حياتهم العادية فيستعملون لغة التخاطب، فهي لغة يغلب عليها التخفيف والسرعة في النطق، لأنها غير مقيّدة بكتابة؛ فلغة التخاطب إدراج، أي: تسلسل عفوي يسوده التخفيف لعفويته، وليس ذلك لحنًا، فالتخفيف سُمع من أفواه جميع العرب الفصحاء؛ فقد استمع العلماء إلى العرب وهم يتخاطبون في حاجاتهم اليومية، فلاحظوا الكثير من التخفيف، بل قد يكون ذلك غالبا عليهم[2].

وهكذا فإنه يمكننا القول إن اللغة العربية أوسع مما جمعه الرواة في عصر التدوين، فما لم يدوّن من اللغة وأساليبها أكثر بكثير مما دُوّن، وهي أوسع من قواعد النحاة، فقواعد النحو أضيق من كلام العرب[3].

وقد اهتم اللغويون والنحاة باللغة الأدبية أكثر مما اهتموا بلغة التخاطب اليومي، واعتمدوا على الشعر كثيرا في استنباط القواعد؛ يقول عبده الراجحي: "وقد أشرنا إلى أن الوصفيين

---

[1] – السابق، ص110.

[2] ينظر: السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة، عبد الرحمن الحاج صالح، دار موفم للنشر، الجزائر، 2007، ص185.

[3] ينظر: تمام حسان رائدا لغويا، عبد الرحمن حسن العارف، عالم الكتب، مصر، ط1، 1422هـ، 2002م، ص37.

يقرّرون أن هناك مستويات مختلفة من الكلام، وأن لكل مستوى نظامَه وقوانينَه، وأن الشعر على وجه الخصوص له نظامُه الذي يختلف عن نظام غيره من مستويات اللغة الأدبية... وقصْر الدرس النحوي على هذا المستوى أفضى بهم إلى وضع قواعد العربية على أساس من النصوص المختارة، مما أبعدهم عن الاستعمال الشائع في اللغة، ولم يكن مناص من أن يواجهوا نصوصا من هذا المستوى الأدبي، تخالف ما وضعوه من قواعد، فاضطروا إلى اللجوء إلى الضرورة أو الشاذ، بل إلى وضع نصوص تسند هذه الأحكام"[1].

إن جامعي العربية لم يهتموا كثيرا بنقل لهجات القبائل العربية المختلفة بشكل واضح، ولم يضعوا نحواً لهذه اللهجات كما وضع النحاة نحواً للغة العربية، فاللهجات هي لغة التخاطب، ولم يكن من الممكن أن ينشأ لها نحو واحد، كما نشأ للّغة الأدبية نحو واحد.

ولو نظرنا إلى كتاب سيبويه مثلا لوجدناه في كثير من الأحيان لا يذكر اسم القبيلة التي نقل عنها، ومما تردد في كتابه قوله: وسمعناه ممن ترضى عربيته[2] . . . وأهل الجَفاَء من العرب يقولون[3]... أن قوماً من العرب يقولون[4]... وزعم لي بعض العرب[5]... وسألنا العرب فوجدناهم يوافقونه[6]... فهذا سمعناه من العرب[7]... ولغةٌ لبعض العرب[8]... قال بعض العرب[9] ...

---

[1] النحو العربي والدرس الحديث، عبده الراجحي، دار النهضة العربية، بيروت، 1979م، ص48 49.

[2] - كتاب سيبويه، 3/ 533.

[3] - نفسه، 1/ 56.

[4] - نفسه، 4/ 137.

[5] - نفسه، 2/ 192.

[6] - نفسه، 3/ 290.

[7] - نفسه، 3/ 291.

[8] - نفسه، 3/ 194.

[9] - نفسه، 1/ 51.

ولو أن القدامى كسيبويه وغيره تنبهوا إلى نسبة المنقول إلى قائله، فعزوا اللهجة إلى قبيلتها لقدّموا للعربية خدمة كبيرة.

والملاحظ أن القدماء في نقلهم عن القبائل أخذوا يفرقون بين قبيلة وأخرى، فينسبون الفصاحة إلى هذه وينكرونها على تلك، بل إنهم ذهبوا إلى أبعد من ذلك، فميّزوا بين القبائل الفصيحة في درجات الفصاحة، ورفضوا النقل عن القبائل المتطرفة التي كانت مساكنها قرب حدود الجزيرة العربية لمجاورتها للأعاجم، وقد عبر أبو نصر الفارابي عن هذا المنهج بقوله: "كانت قريش أجود العرب انتقادا للأفصح من الألفاظ، وأسهلها على اللسان عند النطق وأحسنها مسموعا، وأبينها إبانة عما في النفس. والذين عنهم نُقلت اللغة العربية، وبهم اقتُدي، وعنهم أُخذ اللسان العربي من بين قبائل العرب هم قيس وتميم وأسد، فإن هؤلاء هم الذين عنهم أكثر ما أخذ ومعظمه، وعليهم اتُّكل في الغريب وفي الإعراب والتصريف، ثم هذيل، وبعض كنانة، وبعض الطائيين، ولم يؤخذ عن غيرهم من سائر قبائلهم"[1].

وبالجملة فإنه لم يؤخذ عن حضري قط، ولا عن سكان البراري ممن كان يسكن أطراف بلادهم المجاورة لسائر الأمم حولهم .

ويظهر مما سبق أن العلماء قد قرّروا فصاحة القبيلة استنادا على أمرين:

الأول: قرب مساكنها من مكة وما حولها، ومن قبائل نجد ووسط الجزيرة، وبعدها عن أطراف الجزيرة العربية ومخالطة الأمم الأخرى.

والثاني: البداوة، فكلما كانت القبائل موغلة في البداوة، كانت أحظى بالأخذ عنها.

[1] – المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام، 16/ 264.

وقد أدى هذا المنهج إلى تقسيم القبائل العربية إلى فصيحة وأخرى غير فصيحة أو أقل فصاحة. ففي كتب اللغة والنحو جملة من الأوصاف للهجات العربية كقولهم: لغة جيدة[1]، ولغة قليلة[2]، ولغة رديئة[3]، ولغة قبيحة[4]، ولغة فصيحة[5] ... إلى غير ذلك من الأوصاف.

ومعيارهم في وصف لغة ما بالفصاحة أو القلة أو الرداءة أو غيرها من الأوصاف هو مدى قربها من القرآن الكريم ولغة قريش، وقد عبر المبرد عن هذا المعنى بقوله: "وكل عربي لم تتغير لغته فصيح على مذهب قومه، وإنما يقال: بنو فلان أفصح من بنى فلان، أي أشبه لغة بلغة القرآن ولغة قريش، على أن القرآن نزل بكل لغات العرب"[6] .

نعم لقد تمكّن بعض علماء اللغة من توسيع دائرة النقل في القرن الرابع الهجري، بحيث لم يعد هناك تفريق بين قبيلة وأخرى في جواز الأخذ عنها والاحتجاج بأقوالها، ويأتي في مقدمة هؤلاء ابن جني الذي عقد في كتابه الخصائص بابا سماه: (اختلاف اللغات وكلها حجة)، وقد تحدث فيه عن عنعنة تميم، وكشكشة ربيعة، وكسكسة هوازن، وغيرها، ثم قال: "إلا أن إنسانا لو استعملها لم يكن مخطئا لكلام العرب، لكنه كان يكون مخطئًا لأجود اللغتين"[7] .

وقد انتقد بعض علماء اللغة المحدثون هذا المنهج الذي على أساسه تم جمع اللغة وتقعيد قواعدها على اعتبار أن الفترة الزمنية التي اعتمد عليها القدماء في جمع النصوص طويلة، فقد شملت عصر الجاهلية وصدر الإسلام والعصر الأموي وجزء من العصر العباسي، ولا شك أن

---

[1] – تهذيب اللغة، 3/ 68.

[2] – الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين: البصريين والكوفيين، أبو البركات الأنباري، المكتبة العصرية، ط1 1424هـ-2003م، 1/ 328.

[3] – الصحاح، 2/ 502.

[4] – المزهر في علوم اللغة وأنواعها، 2/ 112.

[5] – إصلاح المنطق، ص 157.

[6] – الفاضل، المبرد، دار الكتب المصرية، القاهرة ط3، 1421هـ، ص113.

[7] – الخصائص، 2/ 14.

اللغة لم تكن ثابتة في هذه العصور المختلفة، وإنما كان يعتريها التغير والتطور صوتيا وصرفيا وتركيبيا ودلاليا، وكان من الأحسن الاكتفاء بعصر واحد.

فهذا الدكتور تمام حسان الذي عاب على القدماء اضطراب منهجهم من ناحيتين:

الأولى: شمول دراستهم لمراحل متعاقبة من تاريخ اللغة العربية، تبدأ من حوالي مائة وخمسين عاما قبل الإسلام، وتنتهي بانتهاء ما يسمونه عصر الاحتجاج، وفي هذه الحقبة لا تظل اللغة ثابتة على حالها بل تتطور من نواح مختلفة.

الثانية: خلطهم بين لهجات مختلفة، ومحاولة إيجاد نحو عام لها جميعا[1] .

ونتيجة لهذا المنهج في النقل عن القبائل المختلفة، فإنه قد تم بعمد أو بغير عمد تهميش لهجات القبائل، فلم توضع لها قواعد لغوية كما وضع النحاة نحواً للغة العربية التي صارت هي اللغة الرسمية التي بدأت تؤلَّف بها العلوم والفنون، والتي كان ينْظِم بها الشعراء أشعارهم، ويخْطُب بها الخطباء على منابرهم، فلم تعد هناك حاجة إلى خدمة هذه اللهجات.

وكما لم تنشأ قواعد لغوية خاصة باللهجات العربية التي هي لغة التخاطب، فإن اللغويين والمعجميّين لم يعتنوا بنقل لهجات القبائل كلّ على حدة، فلم يضعوا معاجم خاصة باللهجات تعزو كلّ كلمة إلى لهجتها، وإنما كانت ألفاظها ترِد مفرقة في المصادر هنا وهناك في إشارات سريعة، وفي أحيان كثيرة لا يسمّي اللغويون القبيلة التي تنتمي إليها الكلمة، ويكتفون بالقول: "وهي لغة"[2].

والشيء المؤسف حقا أن جامعي اللغة لم يجمعوا منها إلا القليل؛ أما الكثير فقد ضاع ولم يصل إلينا، وأنا أعتقد أن الكثير منها مازالت تحتفظ به اللهجات العربية إلى اليوم.

[1] – اللغة بين المعيارية والوصفية، تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ط4، 2000م ص 32.

[2] – معجم الفصيح في لهجة وادي سوف، 13/1.

وقد ظلت كل قبيلة من القبائل العربية بعد ظهور قواعد النحو والصرف، وبعد استقرار اللغة الرسمية تحتفظ بلهجتها الخاصة، فهي اللغة التي تستعملها في حياتها اليومية، وتتواصل بها فيما بينها، ولكنها في الشعر والخطابة والكتابة تستعمل اللغة العربية المشتركة.

المحاضرة (7)

أهمية دراسة اللهجات العربية الحديثة

إن الباحث في اللهجات العربية الحديثة يجد بعض الصعوبة حين يريد أن يربط بحثه باللهجات العربية القديمة، وذلك لأن الدراسات اللغوية القديمة لم تُعن عناية جدية باللهجات، وما روي منها لم يعْدُ ملاحظات عابرة منثورة في ثنايا كتب اللغة ومعاجمها وكتب التفاسير والقراءات القرآنية، وفي بعض كتب الأدب.

وعلى الرغم من الصعوبات الجمّة التي تعترض الباحث في هذا الميدان، إلا أن مواصلة البحث في ذلك تعطي –مع المثابرة– نتائج طيبة. وسنتحدث فيما يلي عن أهمية دراسة اللهجات العربية الحديثة وعن فوائدها:

أولا– انطلاق الدراسات اللهجيّة في الوطن العربي في العصر الحديث:

لم يلتفت العرب عبر تاريخهم الطويل إلى دراسة لهجاتهم، بل كان كل جهدهم منصبّا على دراسة اللغة العربية، لأن الهدف هو خدمة القرآن الكريم، وذلك ما تحقق عبر دراسة اللغة العربية الفصحى، ولذلك فإن علماء اللغة العربية الأوائل ضربوا صفحا عن دراسة اللهجات، لعدم جدوى هذه الدراسة في نظرهم، واهتموا باللغة الموحدة في جميع مستوياتها.

ولم يكن الأمر في بداية العصر الحديث مختلفا عما سبقه، إلا أن هناك متغيرات حصلت في هذا العصر، جعلت اللهجات تجد لها طريقا للدراسة، بل صارت دراستها علما كغيره من العلوم، فكيف حدث هذا التغيير؟

لقد انطلقت دراسة اللهجات في العصر الحديث في بلاد الغرب، وذلك بداية من القرن التاسع عشر، إلى أن ازدهرت في القرن العشرين؛ يقول الدكتور إبراهيم أنيس: "تعد دراسة اللهجات من أحدث الاتجاهات في البحوث اللغوية، فلقد نمت هذه الدراسة بالجامعات الأوربية خلال القرنين التاسع عشر والعشرين، حتى أصبحت الآن عنصرا هامًّا بين

الدراسات اللغوية الحديثة، وأُسِّستْ لها في بعض الجامعات الراقية فروع خاصة بدراستها، تُعنى بشرحها وتحليل خصائصها وتسجيل نماذج منها تسجيلا صوتيًّا يبقي على الزمن"[1].

ومن علماء اللهجات الغربيين: جاستون باريس، وأنطوان توماس الفرنسيان، وكورنو، وأسكولي الإيطاليان وغيرهم.

وفي البلاد العربية انطلقت دراسة اللهجات على أيدي المستشرقين الذين قدموا إلى العالم العربي منذ القرن التاسع عشر ومن تأثر بهم من تلاميذهم.

وقد كان بعض الباحثين ممن اشتغلوا بدراسة اللهجات يدعون إلى إحلالها محل العربية الفصحى، بسبب صعوبتها في زعمهم أو بسبب ثقلها وجمودها، أو بسبب عدم مواكبتها للعصر الحديث، وغيرها من الأسباب، تماما كما حصل في أوربا حين تخلى الأوربيون عن اللاتينية واستبدلوها بلهجاتهم المحلية التي تطورت إلى لغات.

وممن دعا إلى ذلك أنيس فريحة في كتابه (اللهجات وأسلوب دراستها)، والذي قرر فيه أنْ لا فارق جوهري بين لهجة ولغة، وإنما الفارق راجع بالأساس لسبب خارجي ولظرف خاص أعطى الحق للُغة وسلبه من أخرى.

وقد حاول في فصل عنونه بـ:(السلطة العليا)[2] أن يبين لنا حقائق تاريخية قد تكون السبب الخفي وراء رفع لهجة ما إلى مرتبة لغة قومية رسمية، وهي كالآتي:

- عامل عسكري سياسي
- عامل ديني
- عامل اجتماعي

[1] - في اللهجات العربية، ص 9، 10.

[2] - اللهجات وأسلوب دراستها، أنيس فريحة، دار الجيل، بيروت، ط1، 1409هـ، 1989م، ص80.

وما يسترعي الانتباه حقا في هذه النقطة هو تأكيده على أن كل هذه العوامل السلطوية تبقى غير فاعلة، وغير ذات قيمة في سياق أسماه بعلم اللغة، على اعتبار أن هذا العلم –حسب قوله– لا يعترف بسلطة عليا في اللغة غير سلطة الشعب[1].

ويتابع الكاتب حديثه في الفصل الموالي عن العامية كلغة قائمة بذاتها، إذ يذهب من خلال هذا الفصل إلى توضيح أن العامية لغة قائمة بذاتها، وهي حية ومتطورة ونامية، وهو أمر –كما قال– غير مستحب، لن يرضي المجموع الأكبر منا، نظرا لاعتقاد الناس الراسخ في أن العامية هي تجسيد للركاكة، بل إنها تمثل انحطاطا لغويا، وهذا ما تأكد فعلا في مؤتمر الأدباء العرب الذي انعقد ببيت مري (لبنان) في أيلول 1954م، إذ انبرى الجميع إلى الدفاع عن الفصحى ومهاجمة العامية[2].

ولقد استفزت مثل هذه الدعوات أغلب الباحثين العرب، ففهموا منها أن أصحابها يريدون ضرب القرآن الكريم والثقافة الإسلامية بطريقة غير مباشرة، فناصبوها العداء، وسعوا إلى ترذيلها وإسقاطها.

ولكن تغير الحال بعد ذلك حين أزيل الإشكال الأيديولوجي عن البحث في اللهجات العربية الحديثة، وكثرت البحوث التي تتناول هذا الموضوع، وزال التخوّف من أن تكون دراسة اللهجات بديلا عن العربية الفصحى، وإنما هي بحوث في لغة التخاطب المنطوقة لمعرفة تطورها، ولمحاولة ردها إلى الفصيح، ولدراسة التغيرات الصوتية والصرفية التي صاحبت اللهجات عبر تطورها التاريخي والاجتماعي.

وقد أخذ البحث في اللهجات صفة العلمية، وصار كغيره من العلوم محل دراسة اعتنت به الجامعات العربية، وقامت المجامع اللغوية العربية في كل من القاهرة ودمشق وبغداد

---

[1] –السابق، ص83.

[2] – نفسه، 97.

بتشجيع الأبحاث والدراسات في هذا المجال، وصار البحث في اللهجات العربية موضوعا مهما في إطار علم اللغة، بل تحول ذلك إلى علم سمي (علم اللهجات).

ومن أوائل من اعتنى بهذا العلم: حفني ناصف في بحث بعنوان: (مميزات لغات العرب، وتخريج ما يمكن من اللغات العامية عليها، وفائدة علم التاريخ من ذلك)، وقد ألقى بحثه في شكل محاضرة في مؤتمر المستشرقين الذي انعقد في فينا سنة 1886م، وطبعته مطبعة بولاق في تلك السنة. ثم جاءت بعد ذلك الدراسة القيمة للدكتور: إبراهيم أنيس تحت عنوان (في اللهجات العربية) وتعدّ هذه الدراسة مصدرا مهمّا لكل من كتب عن اللهجات في العصر الحديث.

كما أُلّفت رسائل جامعية خاصة في اللهجات العربية، وأهمها جميعا: (اللهجات العربية كما تصورها كتب النحو واللغة) للدكتور: أحمد علم الدين الجندي، دكتوراه سنة 1965م، وطبعت تحت عنوان: (اللهجات العربية في التراث).

وينطلق الباحثون في اهتمامهم بدراسة اللهجات العربية الحديثة من اعتقادهم أن ذلك يؤدي إلى فهم طبيعة اللغة ومراحل نشوئها وتطورها وبيان تاريخها[1]، فدراسة اللهجات الحديثة تسهم في تعريفنا ببعض خصائص اللهجات العربية القديمة ومميزاتها، فهناك بعض الصفات اللهجية التي يمكن- أحيانا- إرجاعها بسهولة إلى لهجات عربية قديمة[2].

ثانيا- أهمية دراسة اللهجات العربية الحديثة وفوائدها:

تُعتبر اللهجات العربية خزانا ضخما ممتلئا بعدد كبير من المفردات أو الصيغ العربية التي لا تزال متداولة على ألسنة الناس إلى اليوم، ولذلك فإن العناية بدراسة اللهجات هو أمر تقوى به اللغة الفصحى وتنتشر، وتتخلص مع مرور الزمن من الألفاظ ذات الأصل الأعجمي التي تداولتها الألسنة وترسخت في الذهن الجمعي، وهي من مخلفات الاحتلال.

[1] - لهجة تميم أثرها في العربية الموحدة، غالب فاضل المطلبي، بغداد، وزارة الثقافة والفنون، 1978م،ص32.

[2] - العربية، يوهان فك، ترجمة: رمضان عبد التواب، القاهرة: مكتبة الخانجي، 1980م، ص9.

ودراسة اللهجات العربية الحديثة دراسة علميّة قد تفتح آفاقاً واسعة للبحث في طرائق تطور اللغة، كما أن هذه الدراسة تساعد على توضيح الصلة بين اللهجات العربية الحديثة واللهجات العربية القديمة، وطريقة تحول الأصوات من حال إلى حال، كتحولها من الترقيق إلى التفخيم والعكس، أومن الجهر إلى الهمس والعكس، أو من الشدة إلى الرخاوة والعكس، وإبدال أصوات بأصوات أخرى.

ولذلك فقد أولى الدرس اللغوي الحديث عناية واضحة باللهجات الحديثة، وأكبر دليل على ذلك أن المجامع اللغوية وهي أعلى سلطة لغوية عربية، وضعت من أولوياتها الاهتمام بدراسة اللهجات الحديثة، فقد شكلت لجنة مهمتها متابعة الدراسة التي تتضمن التقريب بين الفصحى ولهجاتها، والدعوة إلى ازالة الفوارق بين لهجات البلاد العربية، والسمو بها جميعاً إلى اللغة الفصحى، ودراسات في العامي والفصيح وغيرها من الموضوعات المهمة.

وإن لدراسة اللهجات الحديثة فوائد متعددة، سنستعرض بعضها فيما يلي:

1- إن أصول اللهجات العربية الحديثة يعود قطعا إلى اللغات العربية القديمة، ولهذا فإن دراسة اللهجات الحديثة تكشف لنا عن احتفاظها بعناصر لغوية كثيرة من اللهجات القديمة، مثل كسر أحرف المضارعة كما في (نِكتب)، و(تِمشي)، وغيرها، وتخفيف الهمزة في كثير من الكلمات أو إبدالها، وغير ذلك من المظاهر اللغوية التي اتسمت بها بعض اللهجات العربية القديمة ولا زالت اللهجات الحديثة تحتفظ بها.

2- التعرف على سنن التطور اللغوي التي أدت إلى التغيرات اللهجية عن الأصل اللغوي، فالتطور سنة الحياة، ويمكن للباحث اكتشاف أن كثيرا من الألفاظ المستعملة في اللهجة هي ألفاظ حدث فيها تغير لغوي أدى إلى هذه الصورة النطقية الجديدة المتطورة في اللهجة، فنحن نجد أن أغلب التغيرات في اللهجة معللة صوتيا أو علميا على طريقة العرب، كالإبدال والقلب والنحت والإتباع والمماثلة والإمالة، والتخفيف بالحذف وغيرها من الظواهر اللغوية.

3-دراسة اللهجات يفيد كثيرا في عزو القراءات القرآنية إلى لهجات القبائل التي قرأت بها، وهي بذلك تقدم خدمة جليلة للقرآن الكريم الذي قامت الدراسات العربية من أجل خدمته.

4- ولعل من أهم ما يمكن أن نستفيده من هذا العلم، هو ما يمكن أن أطلق عليه الاستدراك اللغوي، أو الاستدراك المعجمي للغة العربية، فلقد بذل جامعو اللغة جهودا أسطورية من أجل جمع مفرداتها، وجمَع منشئو المعاجم ثروة لغوية ضخمة، غير ذلك لم يستوعب اللغة كلها، كما قال أبو عمرو بن العلاء: "ما انتهى إليكم مما قالت العرب إلا أقله ولو جاءكم وافرا لجاءكم علم وشعر كثير"[1]، وهذا يعني أن تلك الجهود المضنية التي بذلها جامعو اللغة لم تكن مستوعبة لكل ما نطقت به العرب، مما يعني أن هناك مادة معجمية هائلة لم تُمعجم بعد، وهذه الثروة ما زالت اللهجات العربية المعاصرة تحتوي على جزء منها يمكن أن نعدّه من فوائت المعاجم.

5- تفيدنا دراسة اللهجات من معرفة الأصول القبلية لعدد من سكان المناطق المنتشره اليوم في العالم العربي، فإن وجود لهجات متقاربة في منطقتين مختلفتين أو أكثر، يدلنا على وحدة الأصل القبلي لهذه اللهجات المتقاربة، ولو لم تكن في إقليم واحد.

كما تفيدنا في تتبع الحركة الجغرافية للهجرات العربية القديمة، ومعرفة الأماكن التي استقرت فيها القبائل العربية بعد الفتح الإسلامي، فكل قبيلة استقرت في منطقة ما، تركت بصمتها اللهجيّة على لسان أهل تلك المنطقة، ولا يزال الأحفاد يتوارثون ذلك عن أجدادهم.

ومثال ذلك قرب لهجة اليمن ولهجة عدد من مناطق المغرب العربي، مما يؤكد نسبة سكان هذه المناطق أو بعضهم إلى اليمن.

[1] - الاقتراح في أصول النحو، ص 106.

وكذلك ما نراه من ظاهرة (التضجُّع) في لهجة اللبنانيين والتونسيين، أي المبالغة في إمالة الحركات، فهم يقولون (سليم) بدل (سلام)، و(فُلين) بدل (فلان). وأهل تونس يخاطبون المذكر بقولهم: إنتي بإمالة فتحة التاء نحو الكسر، فلما أرادوا أن يفرقوا بين المذكر والمؤنث في المخاطبة، أزالوا إمالة حركة التاء لمخاطبة المؤنث، فقالوا : إنتَ... واللبنانيون والتونسيون يتشابهون في الإمالة مع عدم الاتصال الجغرافي؟ فكيف توافقوا على ذلك؟

والواقع أن (التضجُّع) هو ظاهرة لهجية قديمة ظهرت على ألسنة القيسيين، فقيل: (تضجع قيس) [1]، وهذه الظاهرة قليلة عند العرب، وقد حكى الأستاذ شكيب أرسلان عن هجرة قبيلة (قيس) التي كانت تسكن بلاد نجد، ونزولها بلاد الشام، ولهذا فإن لغة نجد دون نزاع هي التي كان لها التأثير الأعظم في لهجات أهل الشام... والواقع أن جميع أهل الشام تقريبا تلفظ بالإمالة، تأثرا باللهجة القيسية القديمة، ولكنها ليست على درجة واحدة، فمنهم المفرط كأهل لبنان، ومنهم المقلّ. ولما كان من ضمن العرب الذين فتحوا الأندلس هم من القيسية التي استوطنت بلاد الشام، فإن الإمالة انتقلت إلى الأندلس عن طريقهم، فهم يقولون مثلا: (كتيب) بدل (كتاب)، بإمالة حركة فتح التاء نحو الياء، حتى تصير قريبة جدا منها، ولذلك فإن بعض الألفاظ الإسبانية التي أصلها عربي لازالت تحتفظ بالإمالة، مثل: (البيب)، أي الباب، وهناك سوق في غرناطة اسمها: (بيب الرملة)، وفي لبنان يقولون للباب: (بيب) كذلك، مما يدل على هذه الصلة بين الشرق والغرب [2].

وإذا علمنا أن تونس استقبلت منذ القرن الـ16م عددا كبيرا من الأندلسيين الفارين من الإسبان بعد سقوط بلادهم، وكثير من هؤلاء الأندلسيين أصولهم من الشام التي استوطنها عرب نجد، حيث هاجر إليها كثير من النجديين، ومنهم قبيلة قيس المعروفة بالتضجّع، أدركنا سرّ التقارب اللهجي بين تونس الموجودة في المغرب العربي، ولبنان الموجودة بالشام.

---

[1] _ الخصائص، 2/ 13.

[2] – ينظر: علاقة التاريخ باللهجات العربية، مجلة المقتطف، يناير 1932م 80/1، ص 40 وما بعدها.

6- الدراسة المكتملة للهجات قديمها وحديثها تمكننا من اكتشاف القوانين التي سارت عليها العربية في تطورها، والعوامل التي وجّهت هذا التطور وأثرت فيه، وارتباط كل ظاهرة بمسبباتها في المكان أو الزمان.

وهكذا فإن علم اللهجات تطور في هذا العصر، وهو جزء من اللسانيات الجغرافية التي تتناول اللغة باعتبارها جزء من الوجود الجغرافي للمجتمع، بل إنه وثيق الصلة باللسانيات الوصفية والتاريخية، لأن أي دراسة وصفية يفترض أن تنصبّ على لغة أو لهجة محددة في فترة زمنية محددة ومكان محدد، وعندما تؤخذ نتائج دراسات وصفية متعاقبة للهجة واحدة أو لغة واحدة تكون هذه دراسة تاريخية، ومن المعروف أن الدراسات الوصفية هي مقدمات للدراسة التاريخية.

المحاضرة (8)

الفصحى واللهجة: تطبيقات في التطور الصوتي

تعدّ التغيرات الصوتية من أبرز التغيرات اللغوية التي يلاحظها دارس اللغة أو اللهجات، ففي كل لغة ترتبط الأصوات بعضُها ببعض ارتباطاً وثيقا، فهي تُكَوِّن نظاما متجانسا مغلقا، تنسجم أجزاؤه كلّها فيما بينها، لأن اللغة لا تتكوّن من أصوات منعزلة، بل من نظام من الأصوات[1].

وداخل هذا النظام اللغوي المنسجم، تحدث تغيرات صوتية، تختلف باختلاف وضعية الناطقين والظروف المحيطة بهم، فتنشأ بمرور الزمن أصوات جديدة داخل الكلمة، تحتلّ مكان الأصوات القديمة بسبب كثرة الاستعمال.

ويعتبر التطور الصوتي أحدَ الآليات التي يتغير بها شكل اللفظ عبر الزمن، وقد ارتبط هذا التغير باللهجات العربية، سواء في القديم أم في الحديث، يقول إبراهيم أنيس: "أما الصفات التي تتميز بها اللهجة فتكاد تنحصر في الأصوات وطبيعتها وكيفية صدورها، فالذي يميز بين لهجة وأخرى هو بعض الاختلاف الصوتي في غالب الأحيان"[2].

ويقول عن الإبدال الذي سببه تباين اللهجات العربية القديمة: "حين نستعرض تلك الكلمات التي فسرت على أنها من الإبدال حينًا، أو من تباين اللهجات حينًا آخر، لا نشك لحظة في أنها جميعا نتيجة التطور الصوتي، أي: إن الكلمة ذات المعنى الواحد حين تروي لها المعاجم صورتين أو نطقين، ويكون الاختلاف بين الصورتين لا يجاوز حرفًا من حروفها، نستطيع أن نفسِّرَها على أن إحدى الصورتين هي الأصل، والأخرى فرع لها أو

[1] – اللغة، جوزيف فندريس، ص: 62.

[2] – في اللهجات العربية، إبراهيم أنيس، ص17.

تطور عنها، غير أنه في كل حالة يشترط أن نلحظ العلاقة الصوتية بين الحرفين المبدل والمبدل منه"[1].

والتطور الصوتي داخل الكلمة يحدث نتيجة تأثير الأصوات المتجاورة بعضها ببعض أثناء التأليف الصوتي، فقد يحدث في الكلام "أن تجتمع أصوات الانسجام فيما بينها، بحيث يشعر المتكلّم بثقلها على لسانه، أو يجد عسراً في تحقيقها، فيهرب من ذلك بتبديل بعض الأصوات ببعض، أو بتعديل بعض صفات الأصوات لتوفير الانسجام"[2].

وهذه بعض مظاهر التغيرات الصوتية في اللهجة:

1-الإبدال:

وهو ظاهرة صوتية عرفتها اللغة العربية، وظهر واضحا في لهجاتها قديما وحديثا؛ يقول ابن فارس: "ومن سنن العرب إبدالُ الحروف وإقامة بعضها مقام بعض، ويقولون مَدَحَه، ومدهه، وفرس رِفلٌ. ورِفنٌ[3]، وهو كثير مشهور قد ألَّف فيه العلماء"[4].

ومن أمثلة الإبدال في اللهجة:

أ-الفعل(قَعْمَزْ): ويدل في اللهجة على الجلــوس؛ فحين يقول أحدهم لآخر: (قَعْمِز)، فالمقصود: اجلس.

وهذا الفعل لا وجود له في المعاجم، وإنما يوجد فعل (قَعْفَز)، وهو فعل يدل على الجلوس؛ قال الزبيــدي: "قعفز الرجل: جلس جلسة المحتبي، ضامّا ركبتيه وفخذيـْه"[5]، وهم يقولــون: جلس القَعْفَـزَى: وهي جلسة المسْتَوْفِز، وقد اقْعَنْفَز[6].

---

[1] – من أسرار اللغة، إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، ط3، 1966، ص59.

[2] – الوجيز في اللغة، محمد الأنطاكي، مكتبة دار الشرق، ط 3، ص 270.

[3] – الرفنّ: الطويل الذنب من الخيل.

[4] – الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها ص: 154.

[5] – تاج العروس، 15/ 284.

[6] – لسان العرب، 5 / 395.

فالفعل (قَعْفَز) يدل على الجلوس، واللهجة تستعمل الفعل (قَعْمَزْ)، مما يدل على أن هناك إبدالا صوتيا حدث بين الفاء والميم، وهذا يقع كثيرا عند العرب.

ب– كلمة (عَزْلوكْ): تعني عند البعض الشخص القوي، وقد تعني عند آخرين الشخص السّمين، وقد تعني عند غيرهم الشخص الذي كبر وتجاوز مرحلة الصبا... وكل هذه المعاني يجمعها رابط القوة.

وهذا الكلمة لم تُذكر في معاجم اللغة؛ وإنما ذكرت كلمة (صعلوك)، وتعني في اللغة الفقير الذي لا مال له[1]، وقد تغيرت دلالة هذا المصطلح، بحيث أصبحت تدل على من يمتهن الغزو والسلب والنهب؛ قال ابن منظور: "يقال لصعاليك العرب ولصوصها: ذوبان[2]، لأنهم كالذئاب... وذؤبان العرب: لصوصهم وصعاليكهم الذين يتلصصون ويتصعلكون"[3].

وهكذا فقد صارت كلمة صعلوك تعني كل من يستعمل القوة ليرهب الناس ويسطو على أموالهم.

ويبدو أن كلمة (عزلوك) هي نفسها كلمة (صعلوك)، وقد حدث فيها تغييران صوتيان؛ أما الأول: فهو القلب المكاني، حيث تغير ترتيب بعض الأصوات في الكلمة، فانقلبت من (صعْلوك) إلى (عصْلوك) بالصاد.

وأما الثاني: فقد حدث فيها إبدال الصاد زايا، وهما صوتان يتبادلان كثيرا، فصارت (عزْلوك).

وهكذا فقد تغيرت هذه الكلمة من صعلوك إلى عَزْلُوكْ، وظلت تحتفظ بمعنى القوة، سواء استعملها صاحبها في السرقة والسطو، كما يفعل الصعاليك، أم لم يستعملها.

---

[1] – ينظر: لسان العرب، 10/ 455.

[2] – الأَصل فِي ذُوبان الهمز، وَلكنّه خفّف، فانقلبت واوا. ينظر: لسان العرب، 1/ 378.

[3] – لسان العرب، 1/ 377، 378.

2-القلب المكاني:

وهو العملية التي يتمّ فيها إبدال مواقع الأصوات في الكلمة، فيتغيّر تركيبها بتغيير أصواتها، مع احتفاظ الكلمة بمعناها. وقد عرف العرب هذه الظاهرة وسمّوها القلب، يقول ابن فارس: "ومن سنن العرب القلبُ" ثم يتحدث عن القلب في الكلمة، فيقول: "فأمّا الكلمة فقولهم: (جَذَبَ، وجبَذَ) و(بكل، ولبَكَ[1])، وهو كثير وقد صنّفه علماء اللغة"[2].

وفي لهجة سوف وغيرها من اللهجات كثير من الألفاظ التي حدث بها قلب مكاني، فتبادلت بعض الأصوات مكانها داخل الكلمة، ومن ذلك:

أ-كلمة (الصِّيشْ): وتطلق في اللهجة على البُسْر الذي لم يُلقّح، وهذا اللفظ موجود في العربية، لكنه بشكل آخر؛ فالعرب تقول: الشِّيص للبُسر الرديء الذي لا يشتــدّ نواه[3]، وقد حدث في هذه الكلمة قلب مكاني، فصارت كلمة شِيص صِيشا في اللهجة.

ب-فعل (بَحْلَقْ): ويدل في اللهجة على تدقيق النظر؛ فحين يقال: فلان (ايْبَحْلِقْ) يعني يركّز النظر على شيء ما.

وهذا المعنى لم تذكره معاجم اللغة لهذا الفعل، وإنما ذكرته لفعل آخر هو (حمْلَق)؛ قال ابن فارس: "حمْلق، إذا فتح عينه ونظر نظرا شديدا"[4]، وهو المعنى ذاته لكلمة (بَحْلَق) في اللهجة.

ويبدو أن اللهجة استثقلت فعــل (حمْلَق)، لأنه يُفتتح بصوت حلقي بعيد، هو الحاء، ويُختتم بصوت قوي، تحاشته اللهجات بتغييرات كثيرة[5]، هو القاف الذي تجتمع فيه عدد من صفات القوة، كالجهر والشدة والاستعلاء والقلقلة. وقد فضّلت اللهجة فعل (بحْلق) لأنه أخف منه، وقد تم الانتقــال من من(حمْلَق) إلى (بَحْلَق) عبر تغييرين، هما إبدال وقلب؛ وذلك

---

[1] - معناهما: اختلط.

[2] - الصاحبي، ص 153.

[3] - تاج العروس، 22/18.

[4] - معجم مقاييس اللغة، 147/2.

[5] - ينظر: بحوث ومقالات في اللغة، رمضان عبد التوب، ص9.

بإبدال الميم باءً، فصارت حَبْلق، ثمّ حدث القلْب، فتحولت الباء إلى أول الكلمة، فصارت (بحْلق).

3-التطور الصوتي بين كلمتين:

وقد ظهر هذا فيما عرف بالنّحت، والعرب تنحت من كلمتين كلمةً واحدة، كقولهم: رجل عَبْشَميّ، وهي كلمة منحوتة من كلمتين هما: عبد شمس [1].

ومن أمثلة النحت في اللهجة:

فعل (سَعْسَق): وهو يدل في اللهجة على كثرة السّير والانتقال من مكان إلى مكان.

وهذه الكلمة لا وجود لها في معاجم اللغة، ولعلها منحوتة من كلمتي (سعى سعى)، أي أكثر السعي والحركة؛ وفعل سعى في العربية يدل على المشي أو المشي بسرعة[2]، فحين يقال: فلان يسعى، أي: يمشي، فإذا قيل: (سعى سعى)، فالمعنى يتحرك ويمشي كثيرا، وفيها دلالة على المشي السريع.

ويبدو أن الكلمة المنحوتة أولاً هي (سَعْسَى)، ثم عوّضوا الألف الأخيرة بالقاف، لتكون الكلمة أشد تمكنا في النطق وأقوى ارتكازا، فقالوا: (سَعْسَق)[3].

وهكذا فإن اللغة ولهجاتها تنمو وتتطور عبر مراحل حياتها، وذلك يعود إلى أسباب تاريخية، ونفسية، واجتماعية... وغيرها.

---

[1] – ينظر: الصاحبي في فقه اللغة، ص209.

[2]- تاج العروس، 38/ 279.

[3] – ينظر: معجم الفصيح في لهجو وادي سوف، 113/1.

المحاضرة (9)

الفصحى واللهجة: تطبيقات في التطور الدلالي

من المقطوع به أن اللّغة لا تستمر على حال واحدة، فهي عرضة للتّغيّر والتبدّل، سواء في مجال الألفاظ، أم في مجال المعاني والدّلالات، ويظهر ذلك التطور واضحا في اللهجات التي تنتمي إلى تلك اللغة.

وقد تحدثنا في المحاضرة السابقة عن التطور والتغير الصوتي استنادا إلى اللهجة المحلية، وهي لهجة وادي سوف، وفي هذه المحاضرة سنتناول التطور الدلالي، وسنطبقه على اللهجة ذاتها.

ويشمل التطور الدلالي:

1-التخصيص الدلالي:

ويسمى التضييق الدلالي أو تضييق المعنى، ويراد به نقل اللفظ من الدلالة على معنى عام إلى معنى خاص. ومثال ذلك:

أ-كلمة الدَّسَّة: وتعني في اللهجة: ذلك اللون البنّي الذي ينطبع على الوجه، فيصيب الخدين أو الجبين، فيأخذ الوجه في الأماكن المصابة لونا داكنا.

والفعل (دسّ) في العربية يعني: أخفى، أي دسّ الشيء تحت الشيء، وهو الإخفاء، ومنه قــول الله تعالى: ﴿ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ﴾ [النحل، 59]، أي: يدفنه[1]، ومــن ذلك قول العرب عن البعير أنه مدسوس، إذا كان به شيء خفيف من الجرب، فإذا طُلي ذلك الموضع بالهِناء (القطران)، قيل: دُسّ، فهو مدسوس[2].

وهكذا فإن العرب تعتبر الدّسّة إخفاء شيء تحت شيء، ومن ذلك الطلاء من القطران الذي يُطلى به البعير طليا خفيفا ليُشفى من إصابته.

---

[1]- تهذيب اللغة، 12/ 197.

[2]- لسان العرب، 6/ 83.

وإذا نظرنا إلى ما يسمى (الدّسّة) في اللهجة، فإننا نجدها طبقة بنّية تصيب الوجه، فيأخذ لونا داكنا، أي كأن طبقة دُسّت تحت طبقة، مما يبين أن استعمالها في اللهجة صار من التخصيص الدلالي والتضييق المعنوي، بحيث إذا ذكر لفظ الدسّة، صار يدل على هذا المعنى، بدل معناه الأصلي، وهو الإخفاء، أو إخفاء شيء تحت شيء بشكل عام.

ب– فعل الأمر (اِزْرِب): يدل في اللهجة على الحركة والسرعة في المشي، وهم يقولون للذي يريدونه أن يسرع: ازْرِب، وفلان زرَبْ، وهم زِرْبُوا، وعَلاَشْ تِزْرِب؟ وهكذا...

والعرب تطلق فعل زرَب على الماء إذا سال؛ قال الأزهري: "زرب الماء وسرب: إذا سال"[1]، كما تطلقه على الحركة والمشي، فتقول: انزرَبَت الغنم، إذا دخلت الزريبة[2]، فكل شيء تحرّك في الأرض أو انبسط فقد زرَب، ولذلك قيل لِما يُبسط في الأرض زَرْبِيّة[3].

وهكذا، فإن لفظ الفعل (زرب) يدل على الحركة والسير، ولكنه في اللهجة مخصص للسير السريع، مما يدل على أن هناك تخصيصا دلاليا حدث في هذا الفعل.

ج– كلمة (الحشَنْ): تدل في العربية على تغير الشيء بما يتعلق به من درَن[4]، أي أنّ كل شيء ظهر فيه الوسخ فهو (محشّن)، والعرب تقول: أحشَن فلان السِّقاءَ، إذا أكثر استعماله، بحقن اللبن فيه، ولم يتعهّده بالغسل، ولا بما ينظفه من الوضر والدرن؛ فأرْوَح وتغيـــر باطنه ولزق به وسخه[5].

وهكذا فالتحشّن: يدل على عموم الوسَخ[6]، غير أن اللهجة ضيقت هذا المعنى، فصار الحشن لا يدل إلا على الوسخ الظاهر في جسم الإنسان.

---

[1] –تهذيب اللغة، 137/13.

[2] –المعجم الوسيط، 391/1.

[3] – تهذيب اللغة، 137/13.

[4] –معجم مقاييس اللغة، 2/ 64.

[5] –تاج العروس، 34/ 432.

[6] –لسان العرب، 13/ 119.

2- التّوسع الدلالي:

وذلك بأن تحمل الكلمة دلالة، جديدة دون أن تتخلّى عن دلالتها الأصلية، فتصبح للكلمة دلالة أعم من معناها الأول.

ومثال ذلك:

أ-كلمة (ورَد): وهي تطلق في العربية على الموافاة إلى الشيء[1]، وصارت لها دلالة مشهورة بورود الماء، وفي القرآن الكريم: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ﴾ [القصص، 23]، وورود الماء معناه بلَغَه، لا أنه دخل فيه[2].

وقد توسعت دلالة الكلمة، فصارت تشمل الأخذ منه، فحين يقولون في اللهجة: اورِدْ الماء، فهم يعنون: ائْت بشيء منه، وهذا توسع في الدلالة، ثم توسعت دلالة الكلمة في اللهجة أكثر من ذلك، فصارت تشمل معنى الكفاية؛ فيقال للشيء حين يقسّم على مجموعة من الناس: هل ورَد؟ أي هل عمّ الجميع وكفاهم؟ فإن لم يعمّ ولم يكفِ، يقولون: ما وردْشِي، أي: لم يكفِ.

ب-كلمة (ميعاد):

تدل كلمة (ميعاد) في العربية على وقت الوعد وموضعه[3]، ويقولون: وافيته في الميعاد[4]، أي أتيت إليه في المكان والوقت المتفق عليهما. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ﴾ [الأنفال، 42]. قال ابن كثير:"﴿ وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ﴾ أي: أنتم والمشركون إلى مكان، ﴿لاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ﴾"[5]، وقال ابن عاشور: "أي في وقت ما تواعدتم عليه"[6].

---

[1] - مقاييس اللغة 6/ 105.

[2] - تفسير القرطبي 13/ 267.

[3] - لسان العرب، 3/ 462.

[4] - أساس البلاغة، 2/ 347.

[5] - تفسير ابن كثير، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت، ط1، 1419هـ، 4/ 58.

[6] - التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع – تونس،1997م ، 10/ 19.

أما اللهجة فتستعمل الميعاد بهذا المعنى، ولكنها تتوسع فيه، فالبعض لا يستعمل كلمة الميعاد للدلالة على وقت اللقاء ومكانه فقط، ولكنه يستعملها للدلالة على الكلام والحوار، فلما يقولون: "دايرين ميعاد"، فهم يعنون بذلك: أنهم يتحدثون، وقد اشتقوا من هذه الكلمة فعلا، فقالوا: فلان: يميعد، وهم يميعدوا، أي يتحدثون.

وهكذا فقد توسع المعنى لهجيّا في هذه الكلمة من الدلالة على المكان إلى الدلالة على ما يحدث فيه من كلام.

4-الانحراف الدلالي:

وهو انزياح يحدث في دلالة بعض الألفاظ، فينزاح المعنى من الدلالة الأصلية إلى دلالة أخرى، وقد سماه الدكتور إبراهيم أنيس: تغير مجال الاستعمال، وهو ما يعرف بالمجاز[1]، والمجاز يلعب دورا مهما في إنتاج العديد من دلالات المفردات في اللّهجة، وهو سمة بارزة من سمات التطوّر الدّلالي، وهذا الانحراف الدلالي يشمل أنواعا عديدة، نكتفي ببعضها:

أ-تغير الدلالة من المحسوس إلى المجرد:

وهو انتقال من المجال الحسي إلى مجال المفهومات الذهنية المجردة، وهذا الانتقال يتم تدريجيا، بحيث قد تظل الدلالتان تُستعملان معا، و يميز بينهما السياق، وقد تختفي الدلالة الحسية، وينساها الناس تدريجيا، ويتمسكون بالدلالة المجردة.

وفي اللهجة أمثلة كثيرة على ذلك، منها:

1-كلمة (الْبَوْ): وتدل في اللهجة على اللاّشيء، أو على الأمر غير المجدي، فحين يقال: فلان جِي علْبَوْ، أي: جاء دون أن يحصّل أي شيء.

وأصل البَوْ: هو معنى حسي حقيقي يتمثل في جلد الحُوار (الجمل الصغير) الذي يُحشى ويقدَّم للناقة التي مات ولدها فتعطف عليه، ظنا منها أنه ولدها، فتدرّ الحليب، وهو نوع من الخداع، فالناقة تحسبه ولدها، وهو (بَوْ).

[1]- دلالة الألفاظ، إبراهيم أنيس، ص160.

وهذا المعنى موجود عند العرب لهذا اللفظ؛ فالبَوْ: الحُوار، وقيل: جلدُه يُحشى تبنا أو ثماما أو حشيشا، لتعطف عليه الناقة إذا مات ولدها، ثم يقرّب إليها لترأَمه فتدرّ عليه[1]، قال الشاعر:

فَمَا أُمُّ بَوٍّ هالكٍ بتَنُوفَةٍ[2] * إِذَا ذَكَرَتْه آخِرَ الليلِ حَنَّتِ[3]

وهكذا، فإن المعنى الأصلي هو الحوار أو جلده، وهو معنى محسوس، والمعنى في اللهجة يشكل انتقالا من المحسوس إلى المجرد، فحين تقول هذا الشيء بوْ، فهذا يعني أنه لا شيء، أو لا طائل من ورائه.

2–الفعل (دَعَكَ): ويدل هذا الفعل في العربية على الدّلْك الشديد؛ يقال: دعكتُ الأديم أدعكُه دعكا، إذا دلكتـُه[4]، ودعكَه في التراب إذا مرّغه[5]، ودعَكتُ الثوب باللبْس، إذا ليّنته، ودعكت الخصم دعكاً، ومعكتُه مَعكاً، إذا ذلَّلتَه[6]، وتداعك القوم، إذا اشتدت خصومتهم[7].

أما في اللهجة، فيدل على المعنى السابق، وهو الدّلك القوي، أو على إصابة مادية، فإذا ضُرب شخص، يقال: جاته دَعْكَة، وهذه دلالة حسّية، وهناك دلالة معنوية ذهنية مجردة، تطورت عن الدلالة الأولى، وهي: الصدمة؛ فيقال لمن صُدِم بسماع خبر سيّء: جاته دَعْكَة، وهو من المجاز.

3–**كلمة (سامط)**: تعني في اللهجة الإنسان الذي تغير طبعه، فصار ثقيلا أو غير محتمل.

---

[1]– لسان العرب، 14/ 100.

[2]– التنوفة: الأرض الواسعة البعيدة ما بين الأطراف.

[3]– المحكم والمحيط الأعظم، 10/ 555.

[4]– جمهرة اللغة، 2/ 662.

[5]– تاج العروس، 27/ 148.

[6]– تهذيب اللغة، 197/1.

[7]– القاموس المحيط، ص939.

وهذا المعنى موجود عند العرب؛ فهم يقولون عن اللبن إنه سامط، إذا نشَّمت فيه الحموضــة[1]، أي: ابتدأت... قال ابن سيده في المخصص: "سَمَط اللبن، يسمُط سمْطا، وهو أوّل تغَيُّره"[2].

ويبدو أنه حدث تطور في دلالة كلمة (سامط) فانتقل المعنى من دلالة محسوسة هي تغير طعم اللبن إلى الدلالة على تغير الطبع، وهي دلالة مجردة، فصار الشخص الثقيل فاسد الطبع يسمى (سامطْ).

4-كلمة (النَّدْهَة): وهي تُستعمل في اللهجة للدلالة على المبادرة إلى فعل الخير، فحين يقال: فلان مُولَى ندهة، أو صاحب ندهة، يعني أنه يقوم مع المحتاج فيساعده، ويقضي حاجته، كلما طُلب منه ذلك.

والندهة في العربية تعني: كثرة المال[3]، فقولهم: مال ذو ندهة، أي: مال كثير[4]، يمكن النفع به، كما قال جميل[5]:

وكَيفَ ولا تُوفِي دِماؤُهُمُ دَمِي * ولا مالُهُم ذُو نَدهةٍ فيَدُونِي[6]

والظاهر أن هناك انزياحا حدث في الدلالة، فانزاح معنى الندهة الأصلي، وهو كثرة المال (وهي دلالة محسوسة) إلى معنى مجرد ينجرّ عنه، وهو مساعدة المحتاج، فانتقل بذلك معنى قولهم: فلان صاحب ندهة من كونه صاحب مال إلى كونه معينا بماله كلّ من يطلب منه ذلك[7].

---

[1]- تاج العروس، 19/ 272.

[2]- المخصص، 1/ 456.

[3]- معجم مقاييس اللغة، 5/ 411.

[4]- لسان العرب، 13/ 548.

[5]- الصحاح، 6/ 2252.

[6]- يَدوني: يقدروا على أَدَاء ديتي.

[7]- ينظر: معجم الفصيح، 206/1.

ب–تغير الدلالة من المجرد إلى المحسوس:

وهذا التغير هو عكس السابق؛ وذلك بأنْ تدل الكلمة على معنى مجرد، ثم تنتقل إلى معنى محسوس، أي مدرَك بالحسّ.

ومثال ذلك:

الفعل (بنّنْ): وهو يدل في اللهجة على عملية تنويم الصبي، فحين يقولون: (بنِّنْ بيه)، أي: ضع يدك على جسده بشكل خفيف ومتتالٍ حتى ينام.

والعرب تقول: أبنَّ بالمكان إذا أقام وتثبّت فيه[1]، وتقول:(بَنَّ) بالمِكانِ (يَبِنُّ): أَقامَ به، كأَبَنَّ، قال الخليل: "الإبنان: اللزوم، يقال: أبنّت السحابة، إذا لزمت، وأبنّ القوم بمحلة، إذا أقاموا"[2].

وقد حصل في اللهجة تغير في دلالة هذا الفعل، فلم يعُد يعني الإقامة والتثبت بالمكان فقط، بل تغيرت دلالته وانتقلت من هذا المعنى المجرد إلى معنى محسوس، وهو تنويم الصبي بواسطة وضع اليد عليه مرات متتالية حتى ينام.

---

[1]- مجمع بحار الأنوار، 220/1.

[2]- معجم مقاييس اللغة، 1/ 191.

المحاضرة (10)

اللهجة والاقتصاد اللغوي

الجزء الأول: في المستوى الصوتي (الهمز)

الاقتصاد في اللغة أو في اللهجة مرتبط بشرط الجهد الأقل، أي إن المتكلم يعبّر عما يريد بأقل جهد، وذلك بأن ينطق أصوات لغته وهو يميل إلى الاقتصاد في المجهود العضلي، ويتلمّس أسهل السبل للوصول إلى الهدف بشكل لا شعوري، وقد أشار اللغويون القدماء إلى أنَّ الألفاظ غير مقصودة في أنفُسها، وإنّما المقصود هو المعاني، وأنّه إذا كان ثمّة طريقان مستويان في السّهولة ومختلفان في القصر، وكلاهما موصل إلى الغرض، فلا شكّ في أنّ أفضلهما هو الأقرب إلى المقصد، ولذلك يحدث التّطور في الأصوات (الصعبة) التي تحتاج إلى مجهود عضلي أكبر إلى أخرى أسهل منها.

ودارسو اللغة اصطلحوا على تعريف الاقتصاد في اللغة: بـ"أنْ تُعبِّر بالقليل المتناهي عن الكثير غيرِ المتناهي"[1]، أو هو: "أن يبلغ المتكلمُ أكبر عدد ممكن من الفوائد، بأقلّ كمّية من الجهود الذهنية والعلاجية لآلة الخطاب"[2]. ويعبَّر عنه أحيانا بقانون الجهد الأدنى، أو قانون السهولة والتيسير بالاختزال لبعض الأصوات أو الاقتضاب أو الإدماج أو التخفيف، مع المحافظة على الأنماط والمعاني المقصودة.

ولذلك فقد شاع في الدِّراسات اللُّغوية الحديثة ورودُ ألفاظ مثل: قانون الحدِّ الأدنى[3]، ونظرية السهولة[4]، والاقتصاد في المجهود[5]، وهذه الألفاظ ترجع في جملتها إلى ثلاثة معانٍ هي: القلّة والسّهولة والقصر، ينضاف إليها معنى القصد والإرادة، ولفظ الاقتصاد يستوعبها جميعا.

---

[1] – مقالات في اللغة والأدب، تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط1، 2006م، ص 292/1.

[2] – الاقتصاد اللغوي في صياغة المفرد، د فخر الدين قباوة، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 2001م ، ص31.

[3] – التصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث، الطيب البكوش، الشركة التونسية لفنون الرسم، تونس، ص22.

[4] – الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر، ط3، 1999م، ص 174 – 175.

[5] – اللغة، فندريس، تعريب: عبدالحميد الدواخلي ومحمد القصاص، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية ، ص206، 207.

ويميل البدويون إلى الاقتصاد اللغوي أكثر من الحضريين، فالقبائل البدوية تميل دوما إلى السرعة في الكلام، وتلتمس أيسر السبل، فتدغم الأصوات بعضها في بعض، وتسقط منها ما يمكن الاستغناء عنه دون إخلال بفهم السامع، فالبدوي حياته مليئة بالتراخي، وما يشبه الكسل حتى في نطقه، فهو يقتصد في الجهد العضلي، ويميل إلى الاختصار في القول[1].

وإن الباحث في ألفاظ كثير من اللهجات وتراكيبها، ومنها لهجة وادي سوف، يجد أنها تسير على سنن العرب في كلامها، فكما يكثر في كلام العرب الإمالة، والقلب، والإبدال، والنحت، وتفخيم بعض الأصوات، والإتْباع، وتخفيف الهمز، والإدغام، واختلاس الحركات، والكثير من الاختزال، وتجاوز الإعراب...

وإذا كانت هذه الظواهر تقلّ في اللغة العربية الأدبية، فإن الغالب في لغة التخاطب عند العرب هو التخفيف[2].

ولذلك فإن اللهجة يغلب عليها التخفيف بقصد الاقتصاد في الجهد، وهو يشمل عدة مستويات لغوية، كالمستوى الصوتي والصرفي والنحوي.

ونظرا لطول هذه المحاضرة، فقد تم تقسيمها إلى ثلاثة أجزاء؛ يتناول الجزء الأول موضوع تخفيف الهمز وهو يتعلق بالمستوى الصوتي، أما الجزء الثاني فيتناول مجموعة من الظواهر الأخرى في المستوى الصوتي، ويعالج الجزء الثالث المستوى الصرفي والنحوي.

- **تخفيف الهمزة:**

صوت الهمزة من أصعب الأصوات؛ قال الخليل: "وأمَّا الهَمْزة فمخرجها من أقصى الحلْق"[3]. وكذلك عدّها سيبويه وابن جني تخرج من أسفل الحلق وأقصاه[4].

---

[1] – في اللهجات العربية، إبراهيم أنيس، ص132.

[2]- السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة، عبد الرحمن الحاج صالح، ص185.

[3] – العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، دار ومكتبة الهلال، تح: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، 1/ 52 .

[4]–كتاب سيبويه، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، 102/4، وسر صناعة الإعراب، ابن جني، 1/ 46 .

وأما علماء اللغة المحدثون فيبينون أن الهمزة تحدث بانطباق الوترين الصوتيين انطباقا تاما، فلا يسمح بمرور الهواء إلى الحلق مدة هذا الانطباق، ومن ثم ينقطع النفَس، ثم يحدث أن ينفرج هذان الوتران، فيخرج صوت انفجاري، نتيجة لاندفاع الهواء الذي كان محبوسا حال الانطباق التام"[1].

وبما أن هذا الصوت من أصعب الأصوات نطقا، فقد تعاملت معه أغلب اللهجات بالحذف حينا وبالتسهيل أو الإبدال أو القلب أحيانا أخرى.

أولا– حذف الهمزة:

تحذف اللهجة الهمزة كثيرا في كلامها تخلصا من ثقلها، وهناك عدة كلمات حُذفت منها الهمزة سواء في أول الكلمة أم في وسطها أم في آخرها:

1– حذف الهمزة في أول الكلمة:

قد تحذف الهمزة في اللهجة حين تجيء في أول الكلمة، مثل:

أ– صاب: وأصله: (أصاب)، حذفت همزته تخفيفا، وهم يقولون: (فلان صاباته عين)، أي أصابته، ويقال للمبتلى بشيء سيء: فلان صابه ربي، أي أصابه فابتلاه.

ب–شاف: وهو فعل يدل في اللهجة على النظر، فيقال: شاف الشيء، بمعنى نظر إليه، ومادة (شوف) تدل في العربية على الظهور والبروز، ولا تدل على الرؤية والنظر، والذي يدل على ذلك هو فعل (أشاف)، قال الأزهري: "أشاف على الشيء وأشفى عليه، إذا أَشرَف عليه"[2]، فحذفت اللهجة الهمزة تخفيفا.

ج– الضمير (أنا): وتحذف كذلك في لفظ (هاني): وأصلها هو (ها أنا) فالهاء للتنبيه، و(أنا) حُذفت همزتها للتخفيف، وأغنت عنها الألف بعد (هاء التنبيه)، وألف (أنا) دخلتها الإمالة الكبرى، فصارت تُسمع (ني) بدل (نا)، كما نقول: ني رايح، وني راجع، وغير ذلك، بإمالة ألف (أنا) وحذف همزتها.

---

[1] – علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، محمود السعران، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، دط، دت، ص 157.

[2] – تهذيب اللغة، 11/ 290.

2- حذف الهمزة في وسط الكلمة:

تحذف الهمزة في وسط الكلمة، وذلك مثل كلمة (الثُّلُولْ)، وهي كلمة وردت في المعاجم العربية بلفظ (الثُّؤْلُولُ)[1]، والمعنى واحد، وهنـــاك من يخفف أكثر، فيفتح الثاء، أويمدها[2].

وتحذف أيضا في كلمة (مدّب)، وأصلها (مُؤدب)، وقد حذفت همزتها للتخفيف والاقتصاد في الجهد، وخففت ضمة الميم، وأشمّت رائحة الكسر، من أجل الانسجام بينها وبين كسرة الدال.

3- حذف الهمزة في آخر الكلمة:

قد تحذف الهمزة في آخر الكلمة، مثل فعل (جي)، وأصله في العربية (جاء)، فحذفت همزته للتخفيف، فصار: (جا)، وأميلت ألفه، فأصبح (جي)، ويتصرف مع جميع الضمائر بحذف الهمزة، ويقولون كذلك: (جاب) أي جاء ب، بمعنى أتى بالشيء، وقد يضيفون ضميرا بعد الباء للدلالة على من جيء به، مثل: (جابنا)، و(جابهم)، و(جابك)... فتُحذف الهمزة من فعل (جاء) للتخفيف.

4- حذف الهمزة بعد (ال) التعريف:

تحذف الهمزة بعد (ال) التعريف، ومثال ذلك: لَرض، بدلا من الأرض، ولاَخرة، بدلا من الآخرة، ولعْمَش، بدلا من الأعمش، ولَعْمى، بدلا من الأعمى، ولَرْقط بدلا من الأرقط...

كما تحذف في الألوان مثل: لحمر ولخضر ولصفر ولبيض... وفي أيام الأسبوع، مثل: لحَد، بدلا من الأحد، ولَثْنين، بدلا من الإثنين، ولِرْبَع، بدلا من الإربعاء.

ثانيا- تسهيل الهمزة:

تسهل اللهجة الهمزة في عدد كبير من الكلمات، ومن ذلك:

---

[1] - لسان العرب، 11/ 81.

[2] - معجم الفصيح في لهجة ودي سوف، نور الدين مهري، مطبعة سامي للطباعة والنشر والتوزيع، 2016م، ص32.

1- **كلمة (الماجن):**

كلمة (الماجِنْ)، والتي تدل في اللهجة على الحوض الذي يُجمع فيه الماء، ثم يوزع على الأراضي المزروعة بواسطة قنوات تصرف الماء إليها، وهي في العاجم: (الْمَأْجَلُ)، وقد حدث بها تغييران؛ الأول: تسهيل الهمزة، فصارت (الماجل)، والثاني: إبدال اللام نونا، لأنها أسهل من اللام في موضعها، فصارت (الماجن)[1].

2- كلمة (مايْنَه):

كلمة (مايْنه) في اللهجة تدل على التعجّب، فحين يسمع أحدهم كلاما عجيبا، يقول:ماينة! وبعض أهل سوف ينطقون الميم مرققة على أصلها، وبعضهم ينطقونها مفخمة.

وفي العربية نجد فعل (مَأَنَ)، واسم الفعل منه مائِن، وهي مائِنة، والعرب قد تخفف الهمزة فتقول: (مايِنة)، ومن معاني مأن: علِم واكترث وشعر وانتبه، فحين يقول العربي: مَا مأَنْتُ مأْنَه، فإنه يعني: ما انتبهت إليه، ولا احتفلت به، وما شعرت به[2]، وما علمت علمه، والتّمْئِنة: الإعلام[3].

وهكذا فإن الشخص حين يخبر شخصا آخر بأمر عجيب لا يعلمه، فيقول له الآخر: مايْنة! فكأنه يقول له: قد علمت ما قلتَ، وانتبهت إليه، ويأتي به المتحدث في صيغة التعجب، معبرا عن ذلك بالتنغيم الذي يفهم منه التعجب[4].

3- كلمة: (مَرَا): وهي في العربية (امرأة)، وقد أبدلت همزتها فتحة طويلة، فصارت صوت مدّ لما قبلها، وقد ورد حذفها في الفصيح، فيقال: (مَرَة)[5]، وقال ابن الأنباري: "للعرب في المرأة ثلاث لغات، يقال: هي امْرَأَتُه، وهي مَرْأَتُه، وهي مَرَتُه"[6].

وتسهّل الهمزة كذلك في مثل: كاس بدل كأْس، وذِيب بدل ذئْب، ويُوذِي بدل يُؤْذِي، وتُوام بدل توْأم...

[1] - السابق، 186/1.

[2] - تهذيب اللغة، 15/ 365.

[3] - لسان العرب، 13/ 396.

[4] - معجم الفصيح، نور الدين مهري، 187/1.

[5] - ينظر: المحيط في اللغة، 10/ 280.

[6] - تاج العروس من جواهر القاموس، 1/ 430.

ثالثا– إبدال الهمزة:

تبدل اللهجة الهمزة صوتا آخر لتجنب ثقلها، وربما أبدلت اللهجة الهمزة بكل الأصوات اتباعا للصوت المناسب للكلمة، وفيما يلي بعض الأمثلة:

1–إبدال الهمزة باء:

وذلك في مثل كلمة (لَبَّة) واللبّة هي أنثى الأسد[1]، وأصلها مهموز (لبؤة)؛ قال ابن السكيت: "فهذه اللغة الفصيحة، و لَبْوَة لغة"[2]، وقال يونس في (نوادره): هي اللُّغة الجيّدة[3]، وقد بين اللغويون أن لها استعمالات متعددة، وأغلبها غير مهموز، ذكر ابن الأنباري ستة منها وهي: (اللَّبُؤَة)، بضم الباء والهمزة، و (اللَبُوَة)، بضم الباء بغير همز، و(اللَّبْأَة)، بتسكين الباء والهمز، و(اللَّبَاة)، بفتح الباء بغير همز، و(اللَّبْوَة)، بتسكين الباء وفتح الواو. و(اللِّبْوة)، بتسكين الباء وكسر اللام وفتح الواو.[4] ونقل شراح الفصيح: (اللَّبَة) بفتح الباء وحذف الهمزة دون تعويض[5].

ويبدو أن اللهجة اختارت إحدى هذه الصور النطقية وهي (اللَّبْأَة)، ولكنها خففتها بحذف الهمزة، وأبدلتها بالباء، وأدغمتها في الباء الأصلية، فنشأت باء مضعفة، ثم فخّمت الباء واللام معا لتقوية الكلمة وتسهيلها من أجل الاقتصاد في الجهد. أو أنها اختارت (اللَّبَة)، وشددت الباء لحسن ارتكاز الكلمة عند النطق.

2– إبدال الهمزة دالا:

وذلك في اسم (درْجيحَة): ومعناها معروف في اللهجة، وتسمى في الفصحى: (الأُرْجُوحة) و(المرْجُوحة)[6].

---

[1] – المزهر في علوم اللغة وأنواعها، 2/ 195.

[2] _ إصلاح المنطق، ص 112.

[3] –تاج العروس من جواهر القاموس، 1/ 417.

[4] – الزاهر في معاني كلمات الناس، 1/ 358.

[5] – السابق، 1/ 417.

[6] – ينظر: تاج العروس من جواهر القاموس، 6/ 384.

أما الميم في (المرْجُوحة) فهو إبدال لهجي قديم، دفع إليه تجنّب ثقل الهمزة، وأما لهجتنا الحديثة فقد عملت على تجنب هذا الثقل، فأبدلت الهمزة بصوت الدال، فأصبحت: (دُرْجُوحَة)، ولكن الكلمة تظل ثقيلة لاجتماع ضمتين فيها، فخففتها اللهجة بإبدال الضمة الطويلة كسرة طويلة، وإشمام ضمة الدال رائحة الكسر، ليحدث التناسب بين الحركتين، فصارت: (درجيحة).

3-إبدال الهمزة راء في فعل (رجّل):

تبدل الهمزة راء في اللهجة لتفادي الثقل، فيقولون في الفعل الرباعي (أجّل) للدلالة على التأخير: (رجّل)، كقولهم: فلان ترجّل، أو الخدمة ترجّلت، أو فلان ديما يرجّل في الحوايج، أي يؤجل ويؤخر. والراء في (رجّل) أصلها همزة (أجّل)، بمعنى أخر، وقد أبدلت الهمزة راء، من أجل الخفة.

4- إبدال الهمزة عينا:

وهو ما يعرف بظاهرة العنعنة، وذلك بجعل الهمزة المبدوء بها عينا، نحو: عِنّك فاضل، وعِنْت كريم، في: إنك فاضل، وأنت كريم، كما عند بعض القبائل العربية كقبيلتي تميم وقيس[1].

ورُوي فِي حديث قَيْلَة[2]: "تَحسب عَنِّي نائمةٌ" قال أبو عبيد: أرادت تَحْسب أني، وهذه لُغة تميم. قال ذو الرمّة:

أعَنْ تَرَسَّمْتَ مِنْ خَرْقَاءَ مَنْزِلَةً * مَاءُ الصَّبَابَةِ مِنْ عَيْنَيْكَ مَسْجُومُ[3]

أراد "أن"، فجعل مكان الهمزة عيناً.

---

[1] – قصة الأدب في الحجاز ، ص 192.

[2] – هي قيلة بنت مخرمة التميمية صحابية.

[3] – ترسمت: تبينت ونظرت، والاصل فيه ترسّم الدار: أي تعرف رسمها. وخرقاء: لقب مية صاحبته، والصبابة: رقة الشوق، ومسجوم: سائل منسكب.

5- إبدال الهمزة نونا في الفعل (ينِينْ):

حين يمرض الإنسان ويتأوه من شدة المرض، يقال في اللهجة: فلان (ينِينْ)، بمعنى يئن، أي يصدر صوت الأنين.

وفي العربية: أنَّ الرجلُ يئِن من الوجع أنينا، فالمضارع لفعل (أنَّ) هو (يئِنُّ)، واللهجة استثقلت الهمزة، فأبدلتها نونا، فصارت (يَنِنّ) بدل (يئنّ)، فاجتمعت فيه ثلاث نونات، واجتماع المتماثلات يحدث ثقلا في الكلمة، فخففت بإبدال النون الأولى من النون المشددة حرف مدّ، فصارت بمثابة كسرة طويلة للنون الأولى المبدلة عن الهمزة: (يَنين)، وبقي في الفعل ثقل في الانتقال من ياء المضارعة المفتوحة إلى النون المكسورة، والعرب تستثقل الانتقال من الأخف إلى الأثقل، فتتصرف في بعض الأصوات بالحذف أو بالإبدال من حركة إلى أخرى، أو التقليل من كمية الحركة. ويعلل سيبويه لهذه الظاهرة فيقول: "وإنّما حملهم على هذا أنّهم كرهوا أن يرفعوا ألسنتهم عن المفتوح إلى المكسور، والمفتوح أخفّ عليهم، فكرهوا أن ينتقلوا من الأخفّ إلى الأثقل"[1].

وحتى يتم الانتقال السلس من الياء إلى النون، اختلسوا فتحة النون، كي يقتصدوا في حركة الفم، فيسلس الانتقال بين الصوتين، وتخفّ الكلمة على اللسان.

6- إبدال الهمزة ياء:

تبدل اللهجة الهمزة ياء للتخفيف، وذلك في مثل: (قرأتُ، وبدأتُ، وتوضأتُ)، فتقول: (قريت، وبديت، وتوضيت)، فعامة العرب على تحقق الهمزة، فتقول قرأْت ونشأْت وبدأْت. وحكى سيبويه قال: سمعت أبا زيد يقول: ومن العرب من يخفف الهمزة فيقول: قَريت

[1] - كتاب سيبويه، 4/ 114.

ونشيت وبديت ومليت الإناء وخبّيت المتاع وما أشبه ذلك، قال: قلت له كيف تقول في المضارع؟ قال أقرا وأخبا بالألف[1].

رابعا– قلب الهمزة مكانيا:

قد تلجأ اللهجة إلى تغيير مكان الهمزة في الكلمة عن طريق القلب المكاني من أجل التخفيف والاقتصاد في الجهد، وذلك في ألفاظ منها:

1–كلمة (جال) بمعنى (أجل):

تأتي كلمة (جال) بعد حرف الجر (عن) أو (على)، كقولهم: (عن جال) و(على جال)، فيقال مثلا: (فلان جي عن جالي)، أي من أجلي، أو (فلان يتعب عن جال المال)، أي من أجل تحصيله.

ومادة (جول) تدل في العربية على الدوران، يقال جال يجول جولا وجولانا[2]، ومادة (جيل) ومنها الجيل الدال على الجماعة[3].

أما (جال) في اللهجة المسبوقة بحرف الجر (عن) أو (على) فهي مقلوبة من كلمة (أجل)، وهي في العربية بمعنى (من جراء)، قال الصاحب بن عباد: "والأجل: من قولك من أجل كذا، وفعلته من أجل كذا: أي من جراك"[4]. وحين استثقلوا الهمزة، أخروها عن بداية الكلمة، وأبدلوها حرف مدّ، وجعلوا الجيم أولها، طلبا للاقتصاد في الجهد، فصارت (جال)، والانتقال سهل بين صوتي الجيم واللام، وزادته ألف المد سهولة وسلاسة.

---

[1] – المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي، المكتبة العلمية – بيروت، 2/ 684.

[2] – مقاييس اللغة، 1/ 495.

[3] – نفسه، 1/ 499.

[4]– المحيط في اللغة، 7/ 184.

وليست لهجة سوف أو اللهجات الجزائرية والمغاربية هي وحدها من تقلب كلمة (أجل) تجنبا لثقل همزتها، وإنما يحصل ذلك عند المشارقة أيضا، فهم يقولون: "على شان"، فيبدلون الجيم شينا، واللام نونا، لقرب مخارجهما، وقد يخففونها فيقولون: (عشان).

2-الفعل (خظي) بمعنى (أخذ أو امتلك):

يدل الفعل (خَظِي) في لهجة سوف على إمساك الشيء أو تملّكه، وقد حدث قلب مكاني في فعل (أخذ) فصار (خذأ)، ثم أُبدلت الهمزة ألفا، فصارت (خذا)، واللهجة تعتمد التفخيم في كثير من الأصوات كما هي عادة البدو من العرب في لهجاتهم، فتصير (خَظا).

ولما كانت الإمالة مما تتميز به لهجة سوف، إرثا عن بعض قبائل العرب التي كانت تعتمد الإمالة في كلامها، فإن هذه الكلمة تُنطق ممالة: (خَظِي)، ومن ذلك قولهم: (فلان خظِي طكسي)، أي سيارة، و(خظِي حوش)، و(خظِي مَرَا)،... وكل ذلك من فعل أخذ، الذي يعني حوْز الشيء وجبْيُه وجمْعه[1].

وقد حصل هذا القلب والإبدال من أجل التخفيف والاقتصاد في الجهد، فمن المفترض أن المتكلم ينطق صوتين ثقيلين متجاورين، هما الهمزة والخاء، ثم ينتقل إلى طرف اللسان لينطق الذال، وفي ذلك صعوبة على الناطق تستسيغه الفصحى، ولكن اللهجة تضيق به، فتختصر ذلك بعملية القلب التي تتخلص فيها من ثقل الهمزة فتأخرها إلى آخر الكلمة، ثم تبدلها ألفا ممالة، وتبدل الذال ظاء، لتكون أقرب مخرجا وصفة للخاء.

وقد عرفت ذلك بعض اللهجات العربية القديمة؛ يقول ابن السكيت: "خَذَأت له أَخْذَأُ خُذُوءًا وخَذِئتُ له"[2]، ويقول أيضا: "وقد استَخْذَأْتُ له، وخَذَأتُ، وخَذِيتُ لغة"[3].

---

[1] - معجم الفصيح في لهجة وادي سوق، 73/1.

[2] - إصلاح المنطق، ص 158.

[3] - نفسه، ص 115.

المحاضرة (10)

اللهجة والاقتصاد اللغوي

الجزء الثاني: في المستوى الصوتي

هذا هو الجزء الثاني من محاضرة (اللهجة والاقتصاد اللغوي)، ويتعلق بالمستوى الصوتي، بعد أن تعرفنا في الجزء الأول على التخفيف في الهمزة.

وفي هذه المحاضرة سنستعرض بعض القضايا الصوتية الأخرى في اللهجة كما يلي:

أولا– كسر حرف المضارعة:

لقد كان للعرب نهجان في هذه الأفعال، فتح حرف المضارعة: وهذه لهجة أهل الحجاز، وكسر حرف المضارعة، وهذه لهجة بقية العرب من غير الحجاز، وهذا ما بينه سيبويه حين قال: "هذا باب ما تكسر فيه أوائل الأفعال المضارعة للأسماء كما كسرت ثاني الحرف حين قلت: فعِل، وذلك في لغة جميع العرب إلا أهل الحجاز، وذلك قولهم: أنت تِعلم ذاك، وأنا إِعلم، وهي تِعلم ونحن نِعلم ذاك"[1].

بل قد وردت القراءة في الشاذ على هذه اللهجة، فقد وردت رواية عن أبي عمرو بكسر التاء في قوله تعالى: "ولا تِركنوا إلى الذين ظلموا"[2].

وقد ورد في لهجة سوف كسر حرف المضارعة، مثل: تِعرف، تِمشي، يِقلي، تِكري، يِحكي، وغيرها.

وهذه الظاهرة تسمى التلتلة، وتنسب لبعض قبائل العرب، وقد اشتهرت بها بهراء[3]، وهي قبيلة من قضاعة، وعزاها صاحب لسان العرب إلى كثير من القبائل العربية، فقال: "وتِعلم، بالكسر: لغة قيس، وتميم، وأسد، وربيعة، وعامة العرب. وأما أهل الحجاز، وقوم من أعجاز

---

[1] – كتاب سيبويه، 110/4.

[2] – تفسير البحر المحيط، 268/5.

[3] – تاج العروس من جواهر القاموس 4/ 100.

هوزان، وأزد السراة، وبعض هذيل، فيقولون: تَعلم[1]، وقد نسب ابن جني ذلك للهجة تميم خاصة، فقال: "هذه لغة تميم، أن تكسر أول مضارع ما ثاني ماضيه مكسور، نحو: علمت تِعْلَم، وأنا إِعْلَم وهي تِعْلَم، ونحن نِرْكَب، وتقل الكسرة في الياء، نحو: يِعْلَم، ويِرْكَب؛ استثقالًا للكسرة في الياء، وكذلك ما في أول ماضيه همزة وصل مكسورة، نحو: تِنْطَلِق"[2].

ثانيا– الإتباع:

ويعني تأثير الحركات بعضها في بعض، وهذه الظاهرة تدخل في باب المماثلة[3].

وفي اللهجة يقال: بِعيـر، وشِعير، وكِبير، وصِغير ومِريض...إلى غيرها من مثل هذه الألفاظ... وكل ذلك بكسر أولها، تبعا لكسر ثانيها.

وقد بيّن سيبويه أن تميما تكسر الفاء في (فَعِيل) فتقول: (فِعِيل)، مثل: لِئيم وشِهيد وسِعيد ونِحيف ورِغيف وبِخيل، وشِهِد ولِعِب... أما أهل الحجاز فيُجْرون جميع هذا على القياس[4].

ثالثا– الإمالة:

تُنسب الإمالة إلى تميم وقيس وأسد وعامة أهل نجد[5]، أما أهل الحجاز فالإمالة عندهم قليلة[6]. وقد عرّفها اللغويون بقولهم: هي الميل بالألف نحو الياء، والفتحة نحو الكسرة[7]، فتتحول الفتحة القصيرة إلى كسرة قصيرة، والفتحة الطويلة إلى كسرة طويلة[8]، وبعض القراءات القرآنية لا تزال تحتفظ بالإمالة، كرواية ورش عن نافع.

---

[1] – بحوث ومقالات في اللغة، رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1415هـ، 1995م، ص 265.

[2] – المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، ابن جني، 1/ 330.

[3] – علم اللغة العربية، محمود فهمى حجازى، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، ص229.

[4] – كتاب سيبويه، 108/4.

[5] – ينظر: شرح المفصل للزمخشري، ابن يعيش، قدم له: الدكتور إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1422هـ، 2001م، 54/9 .

[6] – دراسة في علم الأصوات، حـازم علي كمال الدين، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 1420هـ، 1990م، ص170.

[7] – شرح شافية ابن الحاجب، الرضي الإستراباذي، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، 1395هـ، 1975م، 4/3.

[8] – دراسة في علم الأصوات، حازم علي كمال الدين، ص170.

والملاحظ أن الشرط الرئيس لوجود الإمالة هو وجود الكسر في أحد أحرف الكلمة[1]، إلا أن هذا الشرط قد لا يتوفر أحيانا، مما أربك اللغويين القدامى، حيث تجمّعت بين أيديهم أحوال مختلفة من الإمالة لا تنضبط مع القواعد التي قعّدوها، ولذلك عقد سيبويه بابا في الكتاب عنْونه بقوله: "هذا باب ما أميل على غير قياس، وإنما هو شاذ"، وقد ذكر فيه ألفاظا سُمعت بالإمالة عند بعض العرب، وهي لا تخضع للقياس، مثل: الحَجّاج، وباب، ومال...[2].

وهذا النوع من الإمالة يوجد الآن في لهجة لبنان وتونس وبعض المناطق من شرق الجزائر، أما في لهجة سوف فتظهر الإمالة بشكل واضح على ألسنة الناطقين بها في مثل: الماء التي تُنطق المِي، والسماء: السّمِي، والعَشاء: العَشي والعِشاء: لِعْشِي، والشتاء: الشْتِي، والنِّساء: النْسِي... وذلك قصد الاقتصاد في الجهد، بتقريب الأصوات بعضها من بعض، لحصول نوع من التناسب[3]، أيْ: تناسب الأصوات وصيرورتها في نمط واحد[4]، فاللسان يرتفع بالفتح وينحدر بالإمالة، والانحدار أخف عليه من الارتفاع[5].

رابعا– الاختلاس:

يتعلق الاختلاس بالصوائت (الحركات)، وهي تُنطق تامة مكتملة، كما هو الحال في الفصحى، وقد يُنطق جزء منها فقط، كما هو الحال في بعض القراءات القرآنية وبعض اللهجات.

---

[1]- ينظر: كتاب سيبويه، 127/4.

[2]- نفسه، 127/4، 128.

[3]- ينظر: همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، جلال الدين السيوطي، تح: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1418هـ، 1998م، 375/3 .

[4]- حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك، أبو العرفان محمد بن علي الصبان، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط1، 1417 هـ، 1997م، 310/4 .

[5]- النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، المطبعة التجارية الكبرى، 35/2.

ويدور المعنى اللغوي للاختلاس على الاختطاف السريع وأخذ الشيء بسرعة، بحيث تتغير حقيقته وتنقص كميته، وهو مشتق من مادة (خلس)، وتعني أخذُ الشيء مخاتلة واجتذابا[1]، وخلستُ الشيء واختلسته وتخلّسته، إذا استلبته[2]، والمخلوس: هو الذي لا يكاد يُرى[3].

أما في الاصطلاح فقد عرّف أبو عمرو الداني الصوت المختلَس بقوله: "أن يُسرع اللفظ به إسراعاً يظن السامع أن حركته قد ذهبت من اللفظ لشدة الإسراع، وهي كاملة في الوزن، تامة في الحقيقة، إلاّ أنها لم تمطَّط، فخفيَ إشباعها ولم يتبين تحقيقها"[4].

ويدخل الاختلاس الأفعال والأسماء والحروف، وسنمثل للأفعال بالفعل الثلاثي، الذي يدخله الاختلاس فيقلّل من كمّية بعض الحركات ليحدث الانسجام بين الأصوات والصوائت داخل الفعل، وسنعطي نموذجا عن ذلك بأفعال من وزن (فعَل) في الماضي وأفعال في المضارع ماضيها على وزن (فعِل)، ويأتي مضارعها في العربية على وزن (يفعَل) أو (يفعِل). فمن الأفعال المختلسة على وزن (فعَل) في الماضي: (نكب، وكتب، ونصر، ودخل، وستر، وطبخ، ونفخ) وغيرها، فهذه الأفعال تحوي حركتين متماثلتين متتاليتين، مما يشكّل ثقلا في اللهجة، فاختُلست حركة الكاف لتجنب الثقل الذي يحدث بسبب التماثل، بحيث يصير الانتقال من حركة فاء الفعل المختلسة إلى حركة العين يسيرا وسلسا جراء التخالف بين الحركتين الذي أحدثه الاختلاس، مثل فعل (نكب): فقد كان قبل الاختلاس: (nakaba)، ولتلافي ثقل توالي الحركات سُكِّن آخره، واختلست حركة فعله، فصار : (nekab).

ويدخل الاختلاس حركة العين في الأفعال المضارعة، فتتأثر بذلك حركة حرف المضارعة، وسنمثل للمضارع بالأفعال التي ماضيها على وزن (فعِل)، ويأتي مضارعها في العربية على

---

[1] – المحيط في اللغة، الصاحب بن عباد، 4/ 262.

[2] – الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، الجوهري، 3/ 923.

[3] – ينظر لسان العرب، ابن منظور، 65/6.

[4] – التحديد في الإتقان والتجويد، الداني، ص 98.

وزن (يفعَل) أو (يفعِل)، وإذا كان وزن (يفعَل) لا يظهر فيه الاختلاس كثيرا، بسبب خفة حركاته، فإنه يظهر بوضوح في وزن (يفعِل)، لوجود الكسر في عينه، والكسر مما تستثقله اللهجة، فتحاول أن تخففه بالاختلاس أو بالإبدال.

ومن الأفعال التي اختُلست حركتها على هذا الوزن: (ينتف، ويفرز، ويدفن، ويكشف، ويكنز، ويردم، ويعجن، ويعدل). وغيرها، واللهجة تستثقل الانتقال من الفتح التام في حركة حرف المضارعة إلى الكسر التام في عين الفعل، فتختلس حركة حرف المضارعة وحركة عين الفعل، فتتساوى الحركتان وتتماثل، ويصير الانتقال بينهما سهلا يسيرا، فالفعل (ينتف) مثلا بعد الاختلاس يصير هكذا: (yentef) بدل (yantifou)، وهذا ما يوفر على آلة النطق جهدا، ويساهم في خفة الفعل.

لكن أفعالا أخرى من هذا الوزن والتي تشكلت بنيتها من صوت من أصوات التفخيم مثل: (يربط، ويغدر، ويضرب، ويصبر، ويشرط)، فحركة عينها تتغير من الكسر إلى الضم، وتتبعها حركة حرف المضارعة، فتُضم أيضا، ومثال ذلك فعل (يربط): وهو فعل مكسور العين في المضارع في العربية، وآلة النطق ستنتقل من فتحة حرف المضارعة، ثم ترتفع لنطق الراء الساكنة، ثم تنخفض لتنطق كسرة الباء، ثم ترتفع لتنطق الطاء المفخمة.

وإذا كانت العربية تستوعب كل هذه التحركات، فإن اللهجة لا تقبلها، فتختزل ذلك كله في حركة واحدة وهي الضمّ في حرف المضارعة وعين الفعل، فيتحرك الفم حركة واحدة بدل عدة حركات، ويصير الفعل هكذا (yorbot) بدل (yarbit).

ويدخل الاختلاس الأسماء أيضا، فتتأثر بعض الحركات فتُختزل، فينقص من كميتها، كما في الكلمات التالية:

1- كلمة (بقر):

وهي جمع بقرة، وتُنطق في اللهجة باختلاس حركة الباء المفتوحة في الأصل، واجتماع حركتين متماثلتين متتاليتين يحدث ثقلا في الكلمة، تختصره اللهجة باختلاس حركة الباء، فيحدث التخالف الذي تنتج عنه خفة الكلمة، فتصير: (beguar) بدل (baguar).

2- كلمة (جلفة):

وتعنى في اللهجة: القشرة، وهي في العربية مفتوحة الجيم بهذا المعنى[1]، والجيم لها ست صفات، منها ثلاث قوية، وهي: الجهر والشدة والقلقلة[2]، ووجود حركة كاملة مع هذه الصفات تضيف قوة إلى قوتها، وما دامت اللهجة تفضل السهولة والتيسير، فإنها تقلل من قوة الصوت بالاختلاس، فعوض أن نقول: (jalfah) نقول: (jelfah).

3- كلمة (زبدة):

تُنطق هذه الكلمة في العربية بضم الزاي[3]، والضمة من أقوى الحركات[4]، ولذلك تختلسها اللهجة لتوفر الجهد على آلة النطق، وتجعل الانتقال سهلا بين الحركة المختلسة وما بعدها، فبدل أن يقال: (zobdah)، يقال:(zebdah) .

وهكذا يتضح أن اللهجة تنزع نحو التّخفيف والسّهولة والسرعة في إنتاج الكلام، فتتصرف في بعض الأصوات، حتى تصدر الكلمات سهلة لا تُكلّف ناطقها جهدا، ولا ترهق آلة الخطاب بكثرة الحركة التي يمكن الاستغناء عنها، ولكي تسلك أقصر الطرق الموصلة إلى الغاية بحيث توفّر للناطق جهده ووقته معا كي يصل إلى الدلالة المقصودة من أقرب سبيل، فيعبّر عما يريد بأقل جهد.

---

[1] - تاج العروس من جواهر القاموس، 23/ 95.

[2] - ينظر: الميزان في أحكام تجويد القرآن ص88.

[3] - ينظر: مقاييس اللغة، 3/ 43.

[4] - إعراب القرآن للنحاس، 4/ 228.

المحاضرة (10)

اللهجة والاقتصاد اللغوي

الجزء الثالث: في المستويين الصرفي والنحوي

قلنا في المحاضرة السابقة: إن الاقتصاد في اللغة أو في اللهجة مرتبط بشرط الجهد الأقل، فالمتكلم يعبّر عما يريد بأقل جهد، وإذا كان السعي إلى السهولة والتيسير قصد الاقتصاد في الجهد واضحا في اللغة الفصحى، فإنه في اللهجات أشد وضوحا، فالفصحى تقبل البطء في الكلام، وإعطاء كل صوت حقه في النطق، ولا تميل كثيرا إلى الحذف أو الإدغام أو التسهيل... بينما تقوم اللهجة على السرعة في النطق، وتتبنّى كل أدوات التخفيف.

وقد تحدثنا في المحاضرة السابقة عن الاقتصاد اللغوي في المستوى الصوتي، وفي هذه المحاضرة سوف نتحدث عنه في المستوى الصرفي والنحوي.

أولا– في المستوى الصرفي:

سنتحدث في هذا المستوى عن الاقتصاد فيما يتعلق بالضمائر، و أسماء الإشارة، و الأسماء الموصولة وغيرها، وفيما يلي بيان ذلك:

1– الاقتصاد في الضمائر:

يقع الاقتصاد كثيرا في الضمائر، حيث يُخفَّف جزء منها أحيانا، ويُحذف الضمير كله أحيانا أخرى لوجود ما يدل عليه، ومن أمثلة ذلك:

أ–إسكان الواو والياء في الضميرين (هو) و(هي):

في اللهجة يسكِّنون الواو والياء في الضميرين(هوَ) و(هيَ)، فيقولون: (هُوْ ڤالّي كذا)، و(هِيْ ڤتْلي كذا)، ولا يخفى ما في ذلك من اقتصاد في الجهد، وقد حكى الكسائي عن بني أسد وتميم وقيس تسكين الواو في (هو)، وأنشد:

وزَكْضُكَ لولا هُوْ لقيتَ الذي لَقُوا * فأصبحتَ قد جاوزت قومًا أعاديا[1]

وحُكيَ عنهم أيضا تسكين الياء في هي، قال الشاعر:

إنَّ سَلمى هيَ التي لو تراءت * حَبَّذا هِيْ من خُلَّة لو تُخالى[2]

ب–حذف الضمير المسبوق بالنفي:

قد يُحذف الضمير إذا سُبق بما النافية، كقولهم: (فلان موش جاي)، والأصل: ما هوش جاي، أي: ما هو، فحذف الضمير للتخفيف، أما حين لا يحدث الضمير ثقلا، ويكون ظهوره ضروريا للمعنى، فإنهم لا يحذفونه، مثل: ماكِش جاي، وما كُمْش جايين، ما نَاش جَايين، ما هُمْش جايين...

ويحذف كذلك في قولهم: ماعنداشْ، والأصل ماعندَهْش، أي ما عنده، فلما استثقلوا الهاء، أبدلوها ألفا.

ج– حذف الضمير المسبوق بـ (إنّ):

قد تحذف نون (إنّ) مع الضمير، وتبقى الهمزة لتدل عليها، وذلك في قولهم: (أوْ هُوْ)، أي: إنه هو، فالهمزة همزة (إنّ) حذفت نونها، وتغيرت حركتها إلى الفتح، حتى تناسب صوت الواو الذي يُنطق في اللهجة مفخّما، والواو الذي بعدها مبدل من الضمير المضموم، فحين حُذف، تحولت ضمة الضمير المحذوف إلى واو لتقوم مقامه، وليعتدل الكلام، حتى لا تبقي فجوة بين الهمزة وهاء الضمير الثاني، والدليل على ذلك أننا نقول في المؤنث: (أَيْ هِي)، والأصل: إنها هي، فالياء الساكنة الواقعة بعد همزة إن التي حذفت نونها مبدلة من الضمير (هَ)، ونقول في جمع المذكر (أمْ همْ)، بحذف نون إن والضمير (هـ) وبقاء الميم علامة الجمع من الضمير (هم)، ونقول في جمع المؤنث (أنْ هِنْ)، بحذف نون إن والضمير (هـ) وبقاء النون علامة الجمع.

---

[1]- همع الهوامع، السيوطي، 1/ 241.

[2]- شرح تسهيل الفوائد، ابن مالك الطائي، تح: د. عبد الرحمن السيد، د. محمد بدوي المختون، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط1، 1410هـ، 1990م، 144/1.

2- الحذف في بعض صيغ الاستفهام:

من أمثلة الحذف في صيغ الاستفهام في اللهجة ما يلي:

أ- **الحذف في صيغة (وُشُو):**

وهذه الصيغة تُستعمل لطلب معرفة شيء مجهول، فيقال مثلا: (وشو هذا؟) وصيغة (وشو) في الأصل تتكون من استفهام وضمير، وأصلها: أيُّ شيء هو؟ فأبدلت الهمزة في (أيّ) واوا وحذفت الياء، وبقي حرف الشين من شيء، وبقي الواو من الضمير هو، وصيغة الاستفهام (وُشُو) تخفّف كذلك إلى (وَاشْ)، لتصل في النهاية إلى (وَشْ)، فيقال: (وش كاين؟)، و (وش حصل؟).

ب- الحذف في صيغة الاستفهام (إيشْ):

وأصلها (أيُّ شيء)، وهذه الصيغة موجودة عند العرب القدامى، وقد ذكرها أبو سعيد السيرافي في شرحه لكتاب سيبويه، وعدّها اختصارا لعبارة (أي شيء)[1].

وهذه الصيغة تظهر في مواضع عدة، منها:

- (علاش) أو (عليش): وهي (على إيش)، اختصارا لـ(على أي شيء).
- (كيفاش): وهي (كيف إيش)، اختصارا لـ(كيف أي شيء).
- (فاش): وهي اختصار لـ(في أي شئ).
- (وقتاش): وهي (وقت إيش) اختصارا لـ(وقت أي شيء).
- (اشكون): أصلها (إيش يكون)، اختصارا لـ(أي شيء يكون).

ج- الحذف في صيغة الاستفهام (ولْ): هذا التعبير الاستفهامي يستعمل في مثل قولهم: جي فلان ولْ؟، أو باش تروح ولْ؟ وأصلها جاء فلان وإلاَّ لاَ، وتريد أن تذهب

---

1 _ شرح كتاب سيبويه، أبو سعيد السيرافي، تح: أحمد حسن مهدلي، علي سيد علي دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط1، 2008م، 1/ 33.

وإلاّلاَ؟ وصيغة (ولْ) مخففة من وإلاّ لا، بحذف لا الثانية، فتصير وإلَّا، ثم حذف الألف بعد اللام للتخفيف، فتصير وإلَّ، ثم حذف اللام المضاعفة، فتصير وإلْ، ثم حذف الهمزة، فتصير (ولْ)، وهم ينطقون اللام مفخمة.

د–الاستفهام بـ (ماخِي): عبارة (ماخِي) الاستفهامية تتركب من ما الاستفهامية، وكلمة أخي، وأصلها مه يا أخي؟، فحذفت هاء السكت المتصلة بما، وياء النداء وهمزة أخي، فصارت ماخِي، وبعضهم يحذف الألف ويعوضها بتشديد الخاء، فيقول: مخّي.

هـ–الاستفهام بـ (امْنين): الاستفهام بهذه الصيغة عبارة عن تخفيف الصيغة الاستفهامية من أين؟، فحين يقول أحدهم: "امنين جيت؟"، أي: من أين جئت؟ فخُففت بتسكين الميم وحذف همزة أين.

2– الحذف في أسماء الإشارة: ومن أمثلة الاقتصاد الحذف والتخفيف في أسماء الإشارة:

أ–حذف الذال من اسم الإشارة (هذاك)، فيقولون: هاكْ، مثل: جيت من هاك الطريق، أي: جئت من هذاك الطريق، بحذف الذال بعد الهاء.

ب– اسم الإشارة (هكَّا): اسم الإشارة هكّا يدل على جهة معينة، وهو مخفف من اسم الإشارة (هكذا) والذي يتركب من: هاء التنبيه، وكاف التشبيه، واسم الإشارة ذا؛ فحين يقول أحدهم: امشِ هكَّا، أي: امش هكذا، بمعنى: سر في هذا الاتجاه، أما إذا قالوا **(هكّاكّا)**: فهم يريدون التوكيد، وكأنهم يقولون: (هكذا هكذا)، وقد حدث تخفيف في العبارة، فأبدلت الذال كافاً، ثم أدغمت في الكاف الأولى، فصارت (هكّا هكّا)، ثم حذفت الهاء الثانية للتخفيف، وبقيت الكاف للدلالة على التكرار، فصار (هكّاكّا).

وهذا التعبير يفيد في لهجة سوف معنى آخر، وهو: لا لشيء، أو من غير فائدة، أو لغير سبب، فحين يقول أحدهم: خرجت معاه هكّاكّا، أي: لا لشيء، أو حين يُسأل شخص: لماذا فعلت كذا؟ فيجيب: هكّاكّا، أي: لغير سبب.

3- الحذف في الاسم الموصول:

تستعمل لهجة سوف ككثير من اللهجات الاسم الموصول (اللِّي) الذي يدل على المفرد والجمع في حالتي التأنيث أو التذكير... فيقال: (جا اللِّي نْجحْ)، في حالة المفرد المذكر، و(جَتْ اللِّي نِجْحَتْ)، في حالة المفرد المؤنث، و(جَوْ اللِّي نجحوا) في حالة الجمع المذكر، و(جَنْ اللِّي نِجْحَنْ) في حالة جمع المؤنث.

والاسم الموصول (اللِّي) هو اسم مخفف من الذي، طلبا للاقتصاد في الجهد، وذلك بحذف الذال، ونقل حركته إلى اللام لتناسب الياء.

5 -الحذف في الأسماء:

في اللهجة يحذفون بعض الأصوات من الأسماء المتداولة بكثرة، قصد التخفيف، وبعض العرب يفعلون ذلك بسبب إيثارهم السرعة في الكلام، وهذا ما يدفعهم إلى إسقاط بعض الأصوات من الكلمة، فقد ينطق العربي البدوي دون تمهّل في نطقه، ودون انتظار نهاية بعض الكلمات، فتصدر عنه تلك الكلمات مبتورة الأول أو الوسط أو الآخر، وهو لا يحفل بذلك، لأن كل ما يرمي إليه هو إيصال المعنى مع اقتصاد في الجهد، وتحقيق السرعة التي يتصف بها البدوي في كلامه[1]، ويوجد في اللهجة أمثلة لذلك، منها:

أ-حذف أوائل بعض الأسماء: تُحذف أوائل بعض الأسماء قصد التخفيف، وهذا ما نجده مثلا في كلمة (بدَّه) أو(بدّا) التي تُعوِّض في اللهجة اسم (أحمد)، ففي هذا الاسم حدث حذف وإبدال وزيادة؛ أما الحذف، فقد حدث في الهمزة والحاء، وهما صوتان حلقيان لا يخفى ثقلهما، وخاصة الهمزة المحققة، وبعد التخلص من ثقل الهمزة والحاء تبقى (مَدْ)،

[1]- ينظر: في اللهجات العربية، إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ص117.

فتبدل الميم باء للخفّة، والميم والباء صوتان شفويان يكثر بينهما التبادل، فتصير (بدْ)، وحتى يصبح هذا اللفظ متمكنا في النطق، يشددونه، ومن أجل إشباع الكلمة كي لا يظهر فيها نقص وإخلال، يضيفون هاء السكت، فتصير (بدّه)، وهناك من يلفظها (بدّا)، وفي هذه الحالة تقوم الألف بدور الإشباع، وبعضهم لا يضيف هاء السكت ولا ألف الإشباع، فيقولون: (بدَّ).

ومن أمثلة ذلك أيضا حذف الخاء من اسم خديجة للتخفيف، فالخاء صوت حلقيّ، والانتقال منه إلى الدال بعده يكلّف الناطق جهدا يمكن توفيره بحذفه، فتبقى الصيغة المخففة (ديجه)، والتي لا تكلّف الناطق جهدا كبيرا، ولا تعوقه عن السرعة في النطق.

ب– الإبدال والحذف في أوائل وأواسط بعض الأسماء: ومن أمثلة ذلك اسم (مامّه) من فاطمة، فقد حذفوا الطاء، لاجتناب الجهر والشدة والاستعلاء التي هي صفات قوية تميز هذا الصوت، وأبدلوها بميم أدغموها في الميم الأصلية للاسم، فصارت فامَّه، والميم والفاء من حيز واحد، يقع الإبدال بينهما، فأبدلوا الفاء ميما، لتناسب الميم الأخرى، فصارت (مامَّه).

ج–حذف أواسط وأواخر بعض الأسماء: ومثاله اسم بلقاسم، وهذا الاسم فيه ثقل واضح، يكلّف الناطق به جهدا، يوفّره عليه حذف بعض أصواته، ولذلك حذفوا اللام والقاف والميم، فبقي منه باسَ، فأضافوا إليه هاء السكت، لإشباع الكلمة وحسن الارتكاز، فصارت باسهْ، أو الألف للقيام بدور الإشباع أيضا، فصارت باسا.

د–الحذف في آخر الأسماء: يحذف في اللهجة صوتان أو أكثر من آخر الاسم للتخفيف، ومثال ذلك: (علّ)، بدل عليّ، و(بشَّ)، بدل بشير، و(مَنَّ)، بدل مريم... ففي (علَّ) حذفت الياء، وفي (بشَّ) حذفت الياء والراء، وفي (مَنَّ) حدث إبدال وحذف؛ فقد أبدلت الراء في مريم بالنون، لقربها من الميم، وحذف ما بعدها، وشددت النون، للارتكاز عليها في النطق، وبعضهم يضيف هاء السكت، فيقول: منَّه، أو يضيف الألف منَّا.

هـ–حذف أوائل وأواخر بعض الأسماء: يحذف في اللهجة طلبا للتخفيف أوائل وأواخر بعض الأسماء، وهذا ما يظهر بشكل واضح في اسم (محمد)، فهم يحذفون أوله وآخره، ويتركون حرفي الوسط، الحاء والميم المشددة: حمَّ.

و–حذف أوائل وأواخر وأواسط بعض الأسماء: ومثاله اسم (إبراهيم) الذي يَؤُول إلى (باهي)، حيث حذفوا الهمزة من أوله، والراء من وسطه، وألقوْا حركتها على الباء، فانتقلت من السكون إلى الفتح، وحذفوا الميم من آخره، وبعضهم ينطق الباء مفخمة، وبعضهم يبقيها على أصلها مرققة.

6–تغيير صيغ المبني للمفعول (المبني للمجهول):

من مظاهر التخفيف في هذه اللهجة تغيير صيغ المبني للمفعول أو معاملة المبني للمفعول – أحيانا– معاملة المبني للفاعل (المبني للمعلوم)، لأن صيغ المبني للمفعول يكتنفها الثقل، فالأفعال (يَخرُج، يَسمَع، يَرجِع)، تصبح عند البناء للمفعول في العربية (يُخْرَجُ، يُسمع، يُرجع)، ولا يخفى ما في هذه الصيغة من ثقل يحصل من خلال ضم الياء، وقد تلافته اللهجة إما بمعاملة المبني للمفعول معاملة المبني للفاعل، ففي العربية نقول عن شخص مثلا: (سُمِع به)، أما في اللهجة فنقول: (سمعوا بيه)، وهذه الصيغة تصلح للبناء للفاعل أو للبناء للمفعول.

ولكن اللهجة تستخدم صيغةً للبناء للمفعول تتجنب بها ثقل الصيغة العربية، وهي صيغة تتكون من الفعل مسبوقا بـ (اتْ)، فبدل قولهم: كُتب، وقُتل، وبيع، وقيل... يقولون: اتْكتب، واتْقتل، واتْباع، واتْقال...

7–إسناد الفعل إلى نون النسوة:

إسناد الفعل إلى هذه النون لا يشكل ثقلا في الخطاب، ومن ثم فقد أبقوها في اللهجة لتميّز المؤنث من المذكر، دون أن تُحدث ثقلا، كقولهم: خُرْجَنْ، يُخْرْجَنْ، أُخرْجنْ، في مقابل: خَرَجْن، يَخْرُجْنَ، أُخْرُجْنَ.

ثانيا– في المستوى النحوي: ومن أمثلة التخفيف في هذا المستوى:

1-التخلي عن الإعراب والميل إلى التسكين:

الملاحظ أن كل اللهجات في البلاد العربية تتخفف من الإعراب، وتُسقط علاماته، طلبا للخفة والاقتصاد في الجهد، وإذا غابت الحركات حل محلها السكون، إلا أن التواصل بين الناس يتم بشكل عادي، وقد أثار النحاة قديما وحديثا هذا الموضوع، بيْن من يرى أن الإعراب يدلّ على المعنى[1]، ومن يرى أنه عمل لفظي محض، يُقصد به تحريك أواخر الكلم، ولمراعاة الانسجام بين الأصوات، حتى يتم النطق بلا مشقة وعسر[2].

وعلى العموم، فإن اللهجة لا تراعي جانب الإعراب، فهم يقولون مثلا: "فلانْ سافرْ اليومْ، وْكانْ معمّلْ باشْ يروحْ غُدوهْ، غيرْ كلّمهْ صاحْبَهْ، قالّهْ خفّْ روحكْ رامْ يحتاجوكْ". والملاحظ أن كل كلمة من الكلمات السابقة وردت ساكنة، إضافة إلى حذف النون من الفعل يحتاجونك الذي ورد في موضع الرفع.

وهذا الأمر لا يخص اللهجات، بل هو طريقة العرب وسنتها في تخاطبها، فلم تكن العرب تحقق الإعراب عند التخاطب، وقد جاء في كتاب البصائر والذخائر لأبي حيان التوحيدي: "قال أبو العيناء: ما رأيت مثل الأصمعي قط، أنشد بيتاً من الشعر فاختلس الإعراب؛ وقال: سمعت أبا عمرو بن العلاء يقول: كلام العرب الدّرج؛ قال: وحدثني عبد الله بن سوار أن أباه قال: إن العرب تجتاز بالإعراب اجتيازاً؛ قال الأصمعي: وحدثني عيسى بن عمر أن ابن أبي إسحاق قال: العرب ترفرف على الإعراب ولا تتفيهق به؛ قال: وسمعت يونس يقول:

---

[1]- ينظر: الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، أحمد بن فارس، محمد علي بيضون، ط1، 1418هـ، 1997م، ص35، والنحو والدلالة، مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي، محمد حماسة عبد اللطيف، دار الشروق، القاهرة، ط1، 1420هـ، 2000م، ص10.

[2]- ينظر: الإيضاح في علل النحو، أبو القاسم الزجاجي، تح: مازن المبارك، دار النفائس، بيروت، ط3، 1399هـ، 1979م، ص70، ومن أسرار اللغة، إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط6، 1978م، ص239.

العرب تُشام[1] الإعراب ولا تحققه؛ قال: وسمعت الحسحاس ابن حباب يقول: العرب تقع بالإعراب وكأنها لم ترد؛ قال: وسمعت أبا الخطاب يقول: إعراب العرب الخطف والحذف"[2].

2-حذف النون من الأفعال الخمسة:

تَلحَق النون الأفعال الخمسة في حالة الرفع، وتُحذف في حالتي النصب والجزم[3]، أما في اللهجة فيحذفونها في كل الحالات بقصد التخفيف، ففي حالة النصب يحذفونها كما تفعل العرب؛ فيقولون مثلا: (الذّرْ يروحوا للمدرسة باشْ يقْرَوْا)، فـ(باشْ) تقوم مقام أداة النصب (كي) وتؤدي وظيفتها.

وهم يحذفونها كذلك بعد (حتى) المقدّر بعدها (أن المضمرة)، فيقولون: "ما تاكلوشي حتان يحضْروا اكُلْ"، أي: لا تأكلوا حتى يحضروا جميعا، وهذا ما توافق فيه اللهجة قواعد العربية، غير أنها تحذف النون في حالة الرفع كذلك، بخلاف القاعدة المشهورة، فيقولون: "الناس يُخْرجُوا بَكْرِي"، أي يخرجون، "ورَاهم يَلَعْبُوا"، أي يلعبون.

3-إسقاط واو جمع المذكر السالم وتعويضها بالياء:

تسقط في اللهجة واو جمع المذكر السالم، فيقولون: "جوْ المصلّين، بدل المصلُّون، لأنها فاعل، كما يقولون أيضا: "حُضْروا المعْروضين" بالياء بدل الواو، وهذا الإسقاط يدخل في الاقتصاد، حيث يتم تجنب ثقل الواو وتعويضه بالياء، وهي أخف على الناطق.

4-إسقاط الألف في المثنى وتعويضها بالياء:

تُسقط اللهجة الألف في صيغة المثنى، وتقتصر على الياء، فهم يقولون مثلا: (جَوْ لثْنِينْ)، وكلمة (لثْنِينْ) مثنّى، وهي فاعل، والمفروض أن تُرفع بالألف، كما نقول في العربية: جاء الاثنان، ولكنّ اللهجة تجعل علامة التثنية هي الياء.

---

[1]- تشام: بمعنى لا تظهر، وذلك أن مادة شيم- تعني الإظهار والإخفاء، وهنا المقصود الإخفاء.

[2]- البصائر والذخائر، أبو حيان التوحيدي، تح: وداد القاضي، دار صادر، بيروت، ط1، 1408هـ، 1988م، 148/6.

[3]- ينظر: شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، عبد الله بن عبد الرحمن العقيلي الهمداني المصري ابن عقيل ، تح: محمد محيي الديـن عبد الحميد، دار التراث، القاهرة، ط20، 1400هـ، 1980م، 80/1.

5-لغة أكلوني البراغيث:

من المعروف في قواعد العربية أن الفعل يجب إفراده دائما، حتى وإن كان فاعله مثنى أو جمعا، فيقال مثلا: "قام الرجل" و"قام الرجلان" و"قام الرجال"، بإفراد الفعل (قام) دائما؛ إذ لا يقال في الفصحى مثلا: "قاما الرجلان" ولا "قاموا الرجال"[1].

وتزاد علامة الجمع في قول بعض العرب: "أكلوني البراغيث" وعلى هذا أحدُ ما تُؤُوِّلَتْ عليه الآية: "وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا" [الأنبياء، الآية 3] فيمن لم يجعل في (وَأَسَرُّوا) ضميرًا[2].

وقد بقيت هذه الظاهرة شائعة في كثير من اللهجات العربية الحديثة، ومنها لهجة سوف، كقولهم: "ظلموني الناس" و"زارونا الجيران" وغير ذلك[3].

وبعد هذا العرض يتضح لنا أن اللهجة تعتمد الاقتصاد اللغوي والتخفيف في مستويات اللغة الصوتية والصرفية والنحوية.

---

[1]- بحوث ومقالات في اللغة، رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1415هـ، 1995م، ص 250.

[2]- سر صناعة الإعراب، ابن جني، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط1، 1421هـ، 2000م، 2/ 273.

[3]- الجزء الأخير من هذا التمهيد مختصر من مقال صدر لي بمجلة اللغة العربية وآدابها، دورية أكاديمية محكمة متخصصة تصدر عن كلية الآداب واللغات، جامعة الشهيد حمة لخضر الوادي، العدد التاسع، جويلية 2016م، ص227.